

ملخص البحث:

باعتبارها أول سيدة تحتل منصب رئيس الوزراء في بريطانيا، استطاعت السيدة مارجريت تاتشر أن تحفظ لنفسها مكاناً مرقوماً في تاريخ بريطانيا، بل في تاريخ العالم كله. لقد استطاعت بعزيمتها وقوة شكيمتها أن تصل إلى القمة التي ظلت حكراً على الرجال فقط طوال تاريخ بريطانيا. إن الوصول إلى القمة ليس أمراً سهلاً، وكذا فليس من اليسير المحافظة على البقاء فيه. ولا يجد حتى الخصوم السياسيون للسيدة تاتشر بداً من الاعتراف بقوة شخصيتها ومقدراتها العالية في إدارة دولة عظمى ذات تاريخ عظيم.

هذا الكتاب وإن جاء مختصراً في بعض جوانبه، إلا أنه يغطي جوانب واسعة في حياة هذه السيدة العظيمة. والكتابة عن سيرة السيدة تاتشر تحتاج إلى مجلدات عديدة لتغطي كل الجوانب المهمة في حياتها.

وسيرة السيدة تاتشر يمكن أن تمثل نبراساً يضيء الطريق أمام من يتطلعون للصعود إلى القمة، بل لكل من يسعى أن يختط لنفسه منهاجاً في الحياة يقوده نحو تحقيق هدف منشود يبذل له كل ما توفر لديه من طاقة وحماس وعزيمة.

المحتويات

1. يوم الانتخابات
2. الطفولة
3. أيام المدرسة
4. الجامعة وبداية الدخول إلى الساحة السياسية
5. في البرلمان
6. وزيرة الخارجية للدراسة
7. الوصول إلى القمة
8. الحياة في القمة
9. الخاتمة

يوم الانتخابات

انفتحت الأبواب العالية لقصر بكنجهام الشهير لتعبر عبرها سيارة روفر إلى الداخل . جلست على المقعد الخلفي منحنية إلى الأمام امرأة شقراء في منتصف العمر ، وكانت تلوح بيدها محيية الجماهير المحتشدة عند القصر في ذلك الجو الثلجي الممطر. وكانت تلك الجماهير المحتشدة تمّني النفس بالحصول على نظرة إلى تلك السيدة التي احتلت أرفع منصب سياسي في بلادها. وبعد لحظات كانت تلك السيدة تصافح الملكة وتشارك في حفل تقبيل الأيدي، ذلك الحفل ذي الطابع التاريخي. لقد استطاعت تلك السيدة أن تحجز لنفسها مكانا مرموقا في سجل التاريخ، فبعد ستين عاما من دخول السيدة آستر Lady Astor إلى البرلمان بوصفها أول سيدة تحتل هذا الموقع، أصبحت السيدة مارجريت هيلدا تاتشر، ذات الخمسة والخمسين عاما وابنة البقال من وسط بريطانيا، أول سيدة تشغل منصب رئيس الوزراء في بريطانيا العظمى، بلأول سيدة تحكم دولة غربية عظمى. وقد تسابقت محطات الإذاعة والتلفزة على امتداد العالم في بث ذلك الحدث الكبير. أما بالنسبة للسيدة تاتشر نفسها، فإن الحدث يعني عندها الجائزة الكبرى لحياة كرستها للعمل الشاق الهادف.

لقد بدأ يوم الانتخابات، الذي هو الثالث من مايو 1979، مبكرا بالنسبة للسيدة تاتشر، إذ استيقظت عند الساعة والنصف صباحا وتناولت إفطارها المكون من العصير والبيض. وكانت تدرك أنها سوف تظل مستيقظة معظم الليل في انتظار وصول النتائج. ورغم ذلك السهر الطويل ، خرجت من منزلها في تشيلسي مبكرة وأدلت بصوتها عند التاسعة صباحا قبل أن تذهب إلى دائرتها الجغرافية، فنتشلي Finchely بشمال لندن، التي ظلت تمثلها في البرلمان منذ العام 1959

خلال الأسابيع الست السابقة للانتخابات، سافرت مارجريت لمسافة 0500 كيلومتر وزارت أكثر من 30 مدينة شارحة برنامج حزب المحافظين ومراهنه على الوصول إلى أعلى منصب سياسي في بلدها ، منصب رئيس الوزراء. وكان يوم الانتخابات هو يوم التصويت على سياستها وسياسة حزبها على امتداد طول البلاد وعرضها. ولعلّ السؤاليين اللذين يدوران بذهنها ويشغلان جزءاً كبيراً من تفكيرها هما: هل يريد

الناخبون الآن تغيير حكومة حزب العمال؟ وهل بريطانيا جاهزة بالفعل لتولي امرأة منصب رئيس الوزراء؟ ولعلها تقول في قرارة نفسها بأن الزمن وحده كفيل بالإجابة عما تسأل هي ويسأل غيرها عنه.

لقد كانت مراكز الاقتراع، بالمدارس والقاعات العامة على امتداد الدولة، مفتوحة من الساعة صباحا حتى العاشرة ليلا. ولا يتم عدّ الأصوات إلا بعد إغلاق مراكز الاقتراع، ومن ثم تعلن النتائج. وبالرغم من أن الأمر قد يستغرق زهاء اثنتي عشرة ساعة، إلا أن الخبراء السياسيين يستطيعون التكهن بالنتائج قبل ذلك، ومعرفة الفائز ومدى الأغلبية التي يحصل عليها.

تعيد بعض الدوائر الانتخابية ممثلها السابقين أنفسهم من العمال أو المحافظين، ولكن هناك بعض المقاعد غير المضمونة التي لا يستطيع أي من الحزبين ضمان الفوز بها. و من خلال مراقبة اتجاه التصويت على هذه المقاعد وحجم الأغلبية في المقاعد المضمونة، تكون التكهّنات المبكرة حول النتائج النهائية. وهناك دائما سباق حول أيّ الدوائر تعلن نتائجها أولا. وفي الثالث من مايو كانت دائرة جلاسجو Glasgow المركزية هي الأولى في ظهور النتائج، إذ ظهرت نتائجها عند الساعة 11:43 مساء، أي بعد ساعة و 43 دقيقة من إغلاق مراكز الاقتراع. وقد أعلن في هذه الدائرة عن عودة مرشح حزب العمال السابق إلى مقعده في البرلمان، وهي من الدوائر المضمونة لحزب العمال.

وخلال الساعات الأولى من الصباح، بدا واضحا أن حزب العمال بدأ يفقد العديد من المقاعد غير المضمونة، وأن تلك التي فاز فيها إنما كسبها بأغلبية ضئيلة. وقد ظلت هيئة الإذاعة البريطانية وتلفزيون أي تي في ITV يتحدثان عبر مراسليهما بمراكز الاقتراع والخبراء داخل الإستوديوهات عن التكهّنات بفوز حزب المحافظين.

كانت السيدة مارجريت تراقب النتائج التي تصل من دائرتها في فنشلي Finchley. وفي الرابعة صباحا، ذهبت إلى المركز الرئيس لحزب المحافظين حيث أصبح فوز المحافظين شبه مؤكد، ولكن السيدة تاتشر لم تكن تريد التعليق إلى حين ظهور النتائج بصور رسمية. وعند الخامسة والنصف صباحا، ذهبت إلى المنزل في تشيلسي محاولة أن تأخذ قسطا من النوم.

وخلال ساعات الصباح، ظلت هدايا باقات الورد تصل إليها. وعندما خرجت من منزلها في الساعة 11:20 صباحا، كان في انتظارها ترحيب من حشود الصحفيين والمصورين، فحيت تلك الجماهير المحتشدة، ومن ثم ذهبت مباشرة إلى المركز الرئيس لحزبها لحضور حفل مرتجل تم فيه

إحضار كعكة كبيرة على شكل باب 10 دواننج ستريت، وزجاجات من الخمر والمزيد من باقات الزهور . وقد ظل الكثيرون من مناصري حزب المحافظين بلا نوم تلك الليلة بسبب نشوة النصر الذي حققه الحزب. ومن جانبها، شكرت السيدة مارجريت الجميع لما بذلوه من جهد عظيم كانت نتيجته ذلك الفوز. وقد ظلت تاتشر تلك الليلة تتابع ورود النتائج عبر التلفاز انتظارالظهور النتيجة النهائية.

لقد كانت النتيجة النهائية حصول المحافظين على 339 صوتا وحصول حزب العمال على 268 من الأصوات والليبراليين على 11 مقعدا ، وحصل مرشحون من غير الحزبين الكبيرين على 17 صوتا. واحتفلت تاتشر احتفالا متواضعا بغداء من اللحم والسلطة والقهوة.

في أول الظهيرة من يوم 4 مايو ، ذهب رئيس الوزراء المهزوم ، جيمس كالجان James Callaghan، إلى الملكة موضحا لها أنه لم يحصل على العدد الكافي من المقاعد بمجلس العموم لحكم البلاد، وقدم استقالته للملكة . بعد 45 دقيقة ، وصلت السيدة مارجريت بشكل مختلف تماما ، وطلبت إليها الملكة أن تتولى رئاسة الوزارة وتشكل الحكومة الجديدة. وبقيت تاتشر مع الملكة لمدة 45 دقيقة، ومن ثم غادرت إلى 10 داوننج ستريت Downing Street 10 مقر رئاسة الوزارة البريطانية حيث كان المكان مكتظا بالمهنيين والمصورين. وكان قد تم نقل متعلقات السيد كالجان من البوابة الخلفية بطريقة سريعة غير عادية بسبب الزحام في القصر وحوله. وجاء معاونو السيدة تاتشر يحملون كميات كبيرة من أوراق العمل إلى الداخل، ولعل في ذلك دليلاً على أن هذه السيدة ذات العزيمة القوية وحب العمل لن تترك لنفسها وقتا للاستراحة بعد التعب الذي أصابها خلال الأسابيع السابقة للانتخابات، بل سوف تذهب مباشرة للعمل.

صمتت السيدة مارجريت أمام البوابة الشهيرة لتسمح للمصورين بالتقاط الصور التقليدية ولكي تلقي كلمة قصيرة. قالت فيها : "إنني أريد أن أبدأ بكلمات للقس فرانسيس ' قس مدينة أسيسي ASSISI والتي اعتقد أنها مناسبة لمثل هذا الموقف إذ يقول : (هلا بحثنا عن نقاط الاتفاق عندما يكون بيننا اختلاف ، وهلا بحثنا عن اليقين عندما يكون هناك شك، وهلا بحثنا عن قيس من ضوء للأمل عندما يغمرنا اليأس)". وواصلت قائلة : "والآن بعد أن انتهت الانتخابات، يجب أن نكون على وفاق ونناضل معا من أجل خدمة ورفعة هذا الوطن. "

في المركز الرئيس لحزب العمال، قام السيد كالجان الخاسر في الانتخابات بتهنئة تاتشر قائلاً: " أن يكون المرء رئيسا للوزراء، تلك درجة عظيمة وامتياز عال ، وأما بالنسبة للمرأة فإن احتلالها لهذا المنصب ، حسب رأيي ، يعتبر لحظة عظيمة في تاريخ الوطن، ولذلك فإنها يجب على

الجميع بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم السياسية أن يتمنوا كل النجاح
للسيدة تاتشر"

ظلت رسائل التهئة يتوالى ورودها من كل أنحاء العالم. وبينما
كانت تاتشر تفكر في مدى التحدي الذي سوف تجابهه في وضعها الجديد،
كانت مشاعرها مزيجا من الإثارة والعصبية . لقد نشأت مارجريت مُدركة
أن لا شيء يمكن إنجازه دون تركيز وبذلٍ للمجهود مع الإصرار على
الوصول إلى الغاية المنشودة. ولكنها أيضا كانت تدرك أنها لكي تصل إلى
القمة لابد أن يتوفر لها قدر أوفر من الحظ. لقد كانت في المكان الصحيح
وفي الوقت الصحيح، وكانت لها الشجاعة والوعي بحقيقة متى يمكن أن
تستغل الفرصة عندما تكون الظروف ضدها. وبينما كانت تسير إلى داخل
10 داوننج ستريت لتبدأ حياتها بوصفها رئيسة للوزراء، كانت الأمور
بالنسبة لها حسب تعبيرها " أكثر ساعات حياتي شعورا بالفخر" .

الطفولة

ولدت مارجريت هيلدا روبرتس في 12 أكتوبر 1925 بشقة تعلو متجر عائلتها بشارع نورث براد بمدينة جراتهام التجارية في لنكولنشير. وكانت الأسرة تتكون من والديها وأختها الكبرى موريل وجدتها التي كانت تسكن معهم حتى وفاتها عندما بلغت مارجريت سن العاشرة.

كان السيد ألفرد، والد مارجريت، طويلا قوي البنية ذا عينين شديديتي الزرقة يخفيهما وراء نظارته. جاء ألفرد من رينستد تلك القرية الواقعة بالقرب من ولنجبراو Wellingbrough في نورثهامبتونشير Northamptonshire حيث كان والده يعمل صانع أحذية . وبالرغم من أنه كان شديد الذكاء وكان يود أن يصبح مدرسا ، إلا أن والده لم يتمكن من توفير متطلبات بقائه بالمدرسة، فترك المدرسة في الثالثة عشر من عمره ليلتحق بمهنة تدر عليه الدخل وتوفر العيش الكريم ، إذ بدأ حياته مساعدا لبقال (صبي بقالة) حتى بلغ العشرين فأصبح مديرا لذلك المتجر. وكانت السيدة باتريس إيثل ستيفنسون ، المرأة الخجولة الكسولة، تعمل صانعة ملابس في جراتهام ، المدينة التي كانوا يعيشون فيها على بعد 175 كلم شمال لندن، والتي بها كنيسة يعود تاريخها إلى العصور الوسطى، وهي كنيسة القديس ولفرام Wulfram. و كان بالمدينة برج حجرى بلون رمادي ومدرسة مشهورة هي مدرسة كنج سكول التي درس بها العالم المشهور إسحاق نيوتن الذي تحتفظ له المدينة بنصب تذكاري يتوسط المدينة.

عندما كانت تاتشر صغيرة، كان تعداد سكان المدينة حوالي 20000 نسمة ، وكانت المدينة مركزا للهندسة الزراعية ، وكان يوم السبت هو يوم سوق المدينة حيث يرد إليها الفلاحون المحليون وسكان القرى المجاورة . لقد كانت المدينة إذ ذاك مدينة وادعة تتميز بسمعتها الطيبة. وكان المتجر الذي اشتراه والداها بعد عامين من زواجهما متجرا كبيرا ، ثم اشتريا بقالة أخرى في جزء آخر من المدينة. وكان بالمتجر قسم للمواد المنزلية وقسم لبيع لحم الخنزير وقسم للمواد الاستهلاكية وقسم للحلويات وقسم للسجائر ومكتب بريد. ويقع المتجر في مكان مكتظ ، وكان ضجيج سيارات النقل يزداد بينما كانت مارجريت تكبر، وكانت تسمع أزيز القطارات التي تسير عبر قطبان السكة الحديدية، إذ لم يكن الخط الحديدي يبعد عن منزلهم سوى بضعة مئات من الأمتار.

لم يكن بالشقة سخان للمياه ، ولم تكن هناك حديقة منزلية ، وكانت دورة المياه في الفناء الخلفي للمنزل. ولكن الأختين كانتا سعيدتين

لأن كل واحدة منهما كانت لها غرفتها الصغيرة الخاصة. وكانت الشقة دائما تحتفظ بنظافتها، فقد كانت الأم تحب النظافة وترتيب المنزل وتريد أن تنشأ ابتناها على ذات النهج. وإلى جانب عملها في المتجر، كانت السيدة روبرتس تقوم بتحضير الأكل بالمنزل لكل الأسرة بالإضافة إلى قيامها بتنظيف وترتيب المنزل وغسل الملابس والأواني . وكانت الغسالات الآلية في ذلك الوقت نادرة ، ولم تكن متوفرة إلا لدى بعض الأسر الميسورة الحال، فكانت السيدة روبرتس تقوم بغسل الملابس بيديها في الحوض ثم تجففها على مجففة يدوية mangle، وتزين البيت وتنجد الأثاث. وكانت حريصة على أنتشترى أثاثمنزلها من الطرازالقديم المستعمل، إذ كانوا يرون أن الأثاث الحديث ليس جيد الصناعة.

مارجريت (إلى اليسار) وأختها موريل



Margaret (left) and her sister Muriel

ورثت مارجريت عن أمها تلك المهارات العملية ، فقد تعلمت الطهو والخياطة وعمل الزينة في فترة مبكرة من حياتها. ولأن الأسرة كانت تسكن في الطابق الذي يعلو المتجر ، كانت حياة الأسرة بالمنزل والمتجر متداخلة intertwined إلى حد كبير . وقد أدركت مارجريت في وقت مبكر، مقارنة بأغلب الأطفال، أن كسب العيش يحتاج إلى الكثير من العمل الشاق . وقد كان هناك دائما عمل لا بد من القيام به في المتجر بعد عودتها من المدرسة . وكانت مارجريت تساعد في العمل بالمتجر والعمل المنزلي أيام السبت وفي الإجازات المدرسية. أما السيدة روبرتس الوالدة فكان على الدوام عملها موزعا بين المتجر والمنزل، ونادرا ما تجتمع الأسرة كلها لتناول وجبة من الوجبات مع بعضهم . وكانت إجازات الأسرة تؤخذ في أوقات مختلفة. وتعودت البنات مارجريت وموريل الذهاب مع والدتهما إلى منتجع في سكجنس Skegness لمدة أسبوع حيث كن يقضين الوقت عند البحيرة للاستمتاع بركوب الزوارق والملاهي،

خاصة قطارات وسيارات الملاهي الكهربائية dipper and dodgem cars. أما الوالد فكان يقضي أجازته بعيدا عنهم في وقت آخر من السنة.

في ثلاثينيات القرن العشرين، عندما كانت مارجريت صغيرة ، كانت أسواق السوبر ماركت نادرة جدا، ولم تكن السلع مثل السكر ودبس السكر والشاي والزبدة تباع في عبوات جاهزة كما هو الحال اليوم. كان السكر يوزن للمستهلك من جوانات كبيرة والشاي يفرغ من علب كبيرة، والجبن والزبدة يقطعان من ألواح كبيرة حسب الكمية التي يطلبها الزبون، ودبس السكر اللزج يفرغ من البراميل في العلب.

وكانت مارجريت تستمتع بتلبية طلبات الزبائن وفق الأوزان والكميات التي يطلبونها من المواد التموينية ، وكانت تستمتع بشكل خاص بمرافقة والدها إلى منازل الزبائن في زيارات نصف أسبوعية ، إذ كان معهودا في ذلك الزمان أن يذهب التاجر إلى منازل الزبائن ويسألهم عن احتياجاتهم ويعمل على توفير طلباتهم إلى منازلهم خلال يوم أو يومين.

كانت مارجريت في الإجازة الأسبوعية تعمل بالمتجر الذي يظل مفتوحا حتى الساعة مساء أيام الجمعة والثامنة مساء أيام السبت. وقد تعلمت من هذا العمل الكثير من الأشياء العملية، مثل كيف يمكن أن تحسب النقود بسرعة وترجع الباقي للزبون. ولكن ترك فيها هذا العمل أثرا أبعد عمقا، فقد كان التسوق في ذلك الزمن تسود فيه روح الصداقة والمؤانسة، ففي كثير من الأحيان يبقى الزبائن من أجل تجاذب أطراف الحديث مع التاجر أو البقال أو البائع بالمحل. ولما كان والد مارجريت عضوا بالمجلس المحلي، كان معظم الحديث بينه وبين زبائنه يدور حول الأمور العامة والسياسة. وقد تعلمت مارجريت كيف تتعامل بيسر مع كل الأعداد الكبيرة من الزبائن الذين يرتادون المتجر، فمما عندها الاهتمام بما يجري في البلاد من أمور سياسية وشؤون عامة. واحتفظت منذ تلك الفترة بحب معرفة كل شيء تقريبا، إذ كانت تستمع للناس جيدا وهم يتحدثون عن شتى مسائل الحياة.

بمجرد بلوغها سن العاشرة، أوكل إليها والدها القيام بمهمة التسوق الأسبوعي للعائلة، فكانت تخرج كل صباح يوم السبت ومعها قائمة من المطلوبات التي لم تكن تتوفر في متجرهم. وكانت دائما تزور المكتبة وهي في طريقها إلى التسوق. وقد كان والدها محبا للاطلاع، خاصة كتب السير وشؤون الساعة ، وكانت معرفته بأمين المكتبة معرفة لصيقة فكان يجهز كتابين في كل مرة تزور فيها مارجريت المكتبة لتأخذها إلى والدها.

يمكننا أن نتخيل أنه بعد أسبوع من العمل الشاق في المتجر، أن تكون نهاية الأسبوع راحة لأسرة روبرتس، لكن الواقع يشير إلى أن يوم الأحد كان هو الأكثر عملا مقارنة بأيام الأسبوع الأخرى. كانت والدة مارجريت تصحو مبكرة جدا فتخبز خبز وكعك الأسبوع كله قبل تناول طعام الإفطار. وكانت دائما ما تصنع كمية إضافية لتعطيها لفقير أو مريض تحمله ابنتها مارجريت إليه. وكانت الأسرة تؤمن أنه لا بد من القيام بعمل تجاه الشخص الذي يواجه مشكلة ما ، فنشأت مارجريت وارثة تلك الصفة من أوبوها.

كان بقية اليوم مكرسا للكنيسة ، وكانت مارجريت تذهب إلى مدرسة صباحية morning school يوم الأحد عند العاشرة صباحا ومن ثم تذهب لحضور القداس service بالكنيسة عند الحادية عشرة صباحا ثم إلى المدرسة ، التي تعمل أيام الأحد، عند الثانية والنصف بعد الظهر وبعدها تذهب إلى الكنيسة مرة أخرى لحضور القداس المسائي عند السادسة والنصف. كان والدها الذي يشغل وظيفة كاهن lay preacher يذهب إلى الكنيسة ثلاث مرات ويبقى بين القداسات services في المتجر يراجع ويسجل الحسابات .

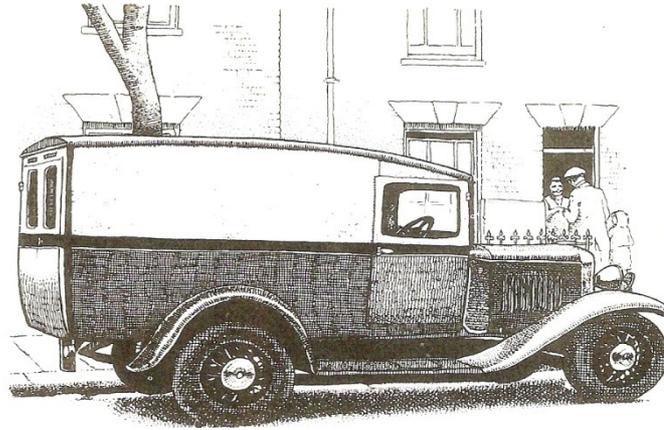
لقد كان والدا مارجريت حازمين جدا، فكانت صلاة المائدة grace تؤدي قبل وبعد كل وجبة ، وكانت أوامرهما قاسية حول ما يجب أن يفعل وما يجب أن لا يفعل، ولم يكن يسمح لمارجريت بالذهاب إلى السينما أو لعب الورق. وحتى قراءة صحيفة الصنداي كانت تعتبر ضربا من العبث. أما بالنسبة للترفيه والتسلية، فلم تكن بقية الأسبوع أفضل كثيرا. كان والدها يتعامل معها بطريقة جادة جدا فلم يكن يطلق عليها أي لقب، ولم يكن يناديها باسم ماجي Maggie كما تعودته من الآخرين، وكان يشعر أن الحياة ليست للمتعة أو التسلية ، وكان من النوع الذي لا يحتمل الأشخاص الذين يعتبرهم متسكعين loafers. لقد كان مؤمنا بالعمل الجاد، ليس فقط من أجل كسب المال ، بل حسب اعتقاده أن مثل هذا العمل يبني ويقوي شخصية الإنسان. ولقد كان هو الأكبر أثرا في حياة ابنته مارجريت، فقد غرس فيها روح الجد والاجتهاد والعمل نحو الهدف المنشود. ولم تكن كلمة " غير ممكن -can't" تسمع في منزل آل روبرتس . وكان يعتبر أن العمل كلما كان جادا ، كان التحدي أكبر. و كانت قناعته أنه لا يمكن تخلي الصعوبات في العمل دون بذل المجهود الكبير وتكريس الوقت لذلك.

لقد استطاع السيد روبرتس أن يخلق نموذجا جيدا ، فهو بالإضافة إلى عمله في المتجر والكهانة بالكنيسة، كان يقوم بالعديد من الأعمال الخيرية ويعمل في العديد من اللجان المحلية. وقد ظل عضوا بالمجلس

المحلي لمدة خمسة وعشرين عاما، تسعة أعوام منها قضاها عضوا بالمجلس التشريعي المحلي alderman ، وانتخب عمدة للفترة 1945 - 1946. وكان رئيسا لغرفة التجارة في جرانتهام، وعمل كذلك في جمع التبرعات لصالح جمعية نادي الروتاري الخيرية.

عمل السيد روبرتس لجمعية بناء جرانتهام Grantham Building Society ورئيسا لمجلس أمناء بنك الادخار المحلي، ورئيسا لجمعية الادخار الوطنية المحلية . وكانت مارجريت معجبة بأبيها وتحبه حبا شديدا ، وقد استلهمت نموده في مسار حياتها وتعلمت منه كيف يمكن أن تستفيد أكثر في كل يوم من خلال ترتيب نفسها من الداخل و من قوة التركيز والاستفادة من كل وقتها وعدم إضاعته في ما لا يفيد.

وبالرغم من أن طبيعة الحياة في الأسرة كانت تتسم بالصرامة الشديدة، إلا أن الأسرة كانت سعيدة ، وكانت هناك مكافآت عملية لكل عمل شاق يتم إنجازه. وقد استطاعت الأسرة أن توفر لنفسها المبلغ الكافي لشراء سيارة نقل متوسطة الحجم van ، ولم تكن السيارات إذ ذاك متوفرة كما هو الآن ، أما تلك السيارة ، فقد كانت تعد نوعا من الترف . وبعد الحصول على تلك السيارة، أصبح ممكنا توصيل متطلبات الزبائن إلى منازلهم بطريقة أسرع من ذي قبل، خاصة عندما يكون الجو ممطرا، إذ يصبح الأمر أكثر يسرا.



عندما بلغت مارجريت سن العاشرة، اقتنت الأسرة جهاز مذياع. وتتذكر مارجريت جريها من المدرسة إلى المنزل دون توقف لمسافة كيلومترين تقريبا في ذلك اليوم الذي كان من المفترض أن يصل فيه الجهاز إلى المنزل. كان والدها يحب دائما الاستماع إلى الأخبار وشؤون الساعة، ولكن مارجريت وأختها كانتا تحبان الاستماع إلى الفرق الغنائية المشهورة في ذلك الوقت مثل هنري هول Henry Hall وإلى الفرق الكوميديّة مثل باند واجن (بطولة آرثر أسكي Arthur Askey) وريتشارد ميردوخ Richard Murdoch وإلى أي تي إم إي ITMA وبرنامج قاعة

موسيقى ليلة السبت . ولم يكن أحد يملك جهاز تلفاز ذلك الحين، فكان جهاز الراديو هو السائد. ولاحقا سمحت الأسرة لمارجريت وأختها بامتلاك جهاز جرامافون من ذلك الطراز القديم الذي يُحرَّك يدويا للتشغيل ، ثم من بعد حصلتا على الطراز الحديث. وكانت المقطوعة الموسيقية المفضلة لدى مارجريت هي The Laughing Policeman "الشرطي الضاحك "

كانت إجازة البنوك هي من الاستثناءات النادرة في كسر الرتابة الصارمة للأسرة، إذ يتم إغلاق المتجر وتخرج الأسرة كلها مع بعضها . وكانت مارجريت وأختها تواقبتين لمثل هذه المناسبة التي تتيح لهما الخروج مع الأسرة مجتمعة، خاصة حين تكون هناك فرصة للذهاب إلى السينما. كانت دور السينما تقدم دائما عزفا موسيقيا على الأورغان قبل بداية الفيلم. وكانت تُعرض جريدةُ السينما news reel بين الأفلام ، وهي الفرصة الوحيدة التي يستطيع فيها العامة مشاهدة الأخبار المصورة. ولم يكن يدور بخلد مارجريت كثيرا وهي تشاهد شريط الأخبار أنها سوف تصبح ذات يوم مشهورة كأولئك السياسيين الذين كانت تشاهدهم على الشاشة.

أيام الدراسة

School Days

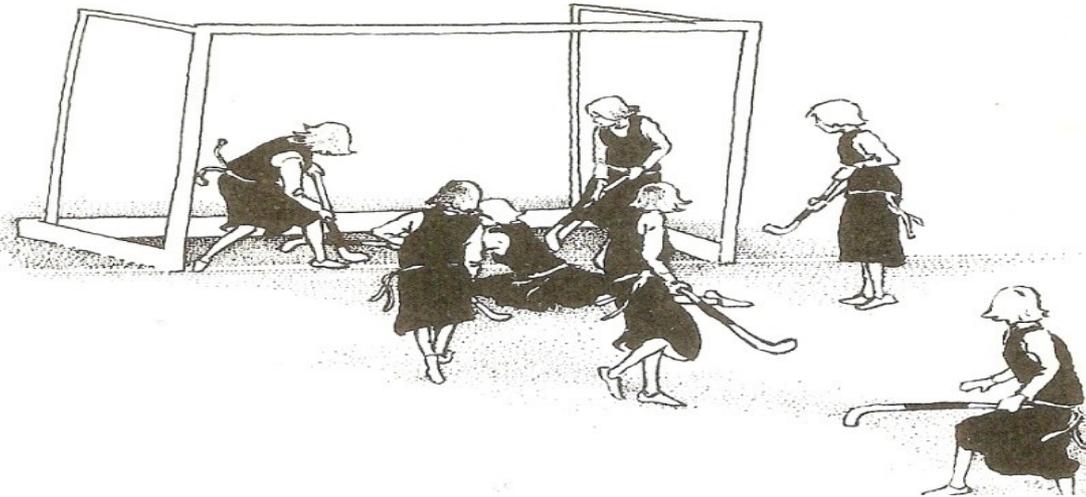
كانت مارجريت تذهب إلى مدرسة هنتنج تاور رود الابتدائية Hunting Tower Road Tower Elementary School على بعد كيلومترين تقريبا من المنزل. وكانت مجتهدة في دروسها وتحصيلها العلمي بالمدرسة، الأمر الذي جعلها توضع في فصلٍ مع من هن أكبر منها سنا بعام واحد. وعندما بلغت سن العاشرة، سُمح لها بالذهاب إلى المدرسة والعودة منها لوحدها. ولما لم تكن هناك وجبة غداء بالمدرسة إذ ذاك الوقت، كانت تعود لتناول الغداء بالمنزل ومن ثم تعود إلى المدرسة. وبالرغم من أن أبويها كانا شديدي الصرامة، إلا أنهما لم يكونا يمنعان مارجريت من تناول الحلوى، بل كانا يعطيانها قطعة من الشوكولاتة تتناولها وهي عائدة بعد الغداء من المنزل إلى المدرسة. ولم تكن الشوكولاتة بالشيء الذي يمكن أن تحصل عليها معظم التلميذات بالمدرسة، فكانت محل حسد من كثير من زميلاتها بالمدرسة. ولكن مارجريت كانت كريمة فكانت تقاسم زميلاتها بعض ما لديها من حلوى.

وبالرغم من أن الأخلاق الطيبة والطاعة واحترام الكبار كانت هي السمة الثابتة في الأسرة، إلا أن مارجريت لم تكن خجولة shy and timid، فقد كانت صريحة forthright لا تخاف التعبير عن مكنون أفكارها. وكان والداها قد علماها أنه لا بد من العمل الجاد والشاق إذا أراد الإنسان النجاح. وهكذا عندما حالف النجاح مارجريت في لاحق أيامها، لم يكن ذلك ضربة حظ بل كان ثمرة جد واجتهاد لازمتها طوال حياتها.

في ذلك الوقت قبل أن تكون هناك الامتحانات العامة comprehensives، كان الطلاب يجلسون لامتحان يسمى 11-plus في السنة الأخيرة للمدرسة الابتدائية لتحديد المدرسة التي ينتقل إليها الطالب. ولأن مارجريت كانت متقدمة بعام دراسي على من هم في مثل سنها، أرادت أن تذهب إلى مدرسة كيستيفن وجرانتهام Kesteven & Grantham للبنات عندما كانت في العاشرة فقط من عمرها.

حصلت مارجريت على منحة دراسية، ولكنها كانت تغطي فقط بعضا من الرسوم الدراسية. وقد شكل هذا الأمر مشكلة بالنسبة للأسرة التي لم تكن غنية، إلا أنها كانت لديها القناعة الراسخة بأن التعليم المتميز ضروري لبناء المستقبل المنشود. وكان والدها على وجه الخصوص يريد

لها أن تحصل على كل الفرص التعليمية التي لم يستطع والده أن يحققها له. قامت الأسرة بتخفيض نفقاتها الخاصة وزادت من المجهود في العمل لتغطي لمارجريت الفرق في الرسوم الذي لم تغطه المنحة التي حصلت عليها. وقد استطاعت مارجريت أن تكون عند حسن ظن أسرتها بها من خلال جدها واجتهادها في الدراسة ، وأعطتهم الإحساس بأن استثمارهم فيها لن يضيع سدىً. ولم يكن مفاجئاً أن تتبوأ دائماً المركز الأول في كل مراحل الدراسة بين زميلاتها فيما عدا مرةً واحدةً. وكانت جيدة في كل المواد ما عدا الفن. ولم تكن تتباهى بنوعها وذكائها، الأمر الذي حببها إلى زميلاتها. وعزز ذلك التقديرَ بروزها في الرياضة ومشاركيتها في ذلك. وبالرغم من عدم موهبتها في كرة المضرب (التنس)، إلا أنها كانت موهوبة في السباحة التي تعلمتها عندما كانت في الثالثة من العمر، وكانت تحب كرة السلة والهوكي. وكانت أصغر طالبة يتم اختيارها في فريق الهوكي بالمدرسة حيث كانت تلعب في مركز الوسط بالفريق centre- half، وأصبحت قائدة الفريق الأول للهوكي بالمدرسة .



كانت هناك مُدرّستان كان لهما أثر كبير في حياة مارجريت هما الآنسة جيليس Miss Gillies مديرة المدرسة منذ أن كانت مارجريت في الثالثة عشر من عمرها ، والآنسة كي Miss Key رئيسة قسم الكيمياء. كانت الآنسة جيليس قد أقنعت السيد روبرتس بأن تلتحق ابنته مارجريت بدروس للخطابة، إذ كانت ترى أنها يمكن أن يكون لها شأن في منافسات الخطابة بالمدينة ، وقد ثبت بعد ذلك أن الأمر تعدى مجرد منافسات المدينة في الخطابة إلى ما هو أعلى بكثير عندما اصبحت سياسية

وبرلمانية، فقد كان النواب البرلمانيون يتبارون في قبة البرلمان بالخطب السياسية الحماسية ، ثم أيضا عندما أصبحت رئيسة لوزراء بريطانيا.

عندما بلغت مارجريت سن الثالثة عشر، كان عليها أن تقرر حول مستقبلها، ولم يكن نظام تحديد المستويات O و A قد ظهر بعد في السلم التعليمي إذ كان الطلاب يجلسون لامتحان يسمى امتحان القبول matriculation الذي يتم من خلاله اختبار الطلاب في جميع المواد الأساسية، ومن ثم يتم تحديد أحد المسارين الأدبي أو العلمي الذي يتجه إليه الطالب. ولأن مارجريت كانت جيدة في كل المواد، كان من الصعب عليها تحديد المسار الذي تتجه إليه، لكنها في النهاية اختارت القسم العلمي، ربما لسببين: أولهما أن ذلك العصر كان يشهد الكثير من الاختراعات والاكتشافات العلمية، وثانيا ، كشأن معظم الطلاب، يختار الطالب التخصص في المادة التي يُدرّسها أقرب المعلمين إلى قلبه. وكانت أقرب معلمة إلى قلبها هي مدرسة الكيمياء.

وقد كانت حريصة على الذهاب إلى الجامعة ، جامعة أكسفورد بصفة خاصة. وكان اختيارها لدراسة الكيمياء في أكسفورد معقولا، فقد كان صعبا على البنات دخول الجامعة مقارنة بالفرص التي يجدها الطلاب الذكور ، ولذلك كان يجب عليها اختيار المادة التي يكون الإقبال عليها ضعيفا حيث المنافسة أقل حدة.

لقد كان على مارجريت أن تعمل بجد واجتهاد بالمدرسة، وقد كان لديها القدرة على التركيز والاستيعاب بطريقة مذهشة، الأمر الذي ساعدها لاحقا عندما صارت رئيسة للوزراء وهي تتصفح الملفات وتنظر القضايا وتدرّسها وتتخذ فيها القرارات المناسبة. وقد كانت مارجريت تذاكر دروسها تحت طاولة غرفة الطعام أثناء الغارات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد كانت السيدة روبرتس تصنع كل ملابس ابنتها، فكانت مارجريت تبدو دائما مختلفة عن كل البنات،. ولا أحد يستطيع أن يدّعي أنه رآها ذات يوم في ملابس رثةٍ scruffy أو غير متناسقة، فلقد كانت دائما نظيفة وأنيقة. وقد جعلها لباسها المتفرد بعيدة إلى حد ما عن زميلاتها . ولم يكن والداها يسمحان لها بالانضمام إلى أي نشاط خارج المدرسة هدفه المتعة والتسلية فقط. و بينما هي تكبر كانت صويحاتها يذهبن إلى الرقص في حفلات ليالي السبت بقاعة الرقص بالمدينة، ولكنّ والديها كانا ينظران إلى مثل تلك الحفلات على أنها من الأمور التي لا قيمة لها وأنها مضيعة للوقت ، فكانا يمنعانها من الذهاب إليها.

التحقت مارجريت بجمعية المناظرات بالمدرسة *debate society*، وبسرعة ظهرت موهبتها في الخطابة ، وكانت دائما شديدة الثقة بنفسها. وعلى خلاف الكثيرات من الفتيات، لم تكن خجولة أو تستحي في أن توجّه ما تريد من الأسئلة للضيف المتحدث الذي يأتي إلى المدرسة ليخاطب الطالبات بحضور أعضاء هيئة التدريس في ذلك المنتدى. وكانت مارجريت تؤدي أيضا بعض الأدوار التمثيلية ، وقد أحببت لبعض الوقت أن تكون ممثلة.

لم يكن والدها يسمح لها بممارسة أي نشاط غير تعليمي أو ثقافي أو ديني خارج المدرسة، ونادرا جدا ما يسمح لها بممارسة الأنشطة الترفيهية. تعلمت مارجريت الباليه والعزف على البيانو، فأجادت عزف الموسيقى الكلاسيكية، وشاركت في مهرجان جرانتهام للموسيقى عام 1949 عندما كانت في الرابعة عشر من عمرها. سمحت الأسرة للأختين مارجريت وموريل أن يكون لدى كل منهما صديقة بالمراسلة ، فجاءت صديقة موريل اليهودية التي كانت تسكن في مدينة فينا عاصمة النمسا، واسمها إديث Edith، لتسكن مع الأسرة . فقد كتب والدا إديث عند اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى والدي مارجريت طالبين منهما أن يقبلا استقبال إديث لتسكن معهن وتكون تحت رعاية الأسرة إذا استطاعا هما إخراجها من النمسا. وقد كان ذلك الأمر صعبا في ظل اضطهاد هتلر لليهود، إذ كان من شبه المستحيل عليهم الحصول على إذن بالسفر إلى الخارج. وبالرغم من أن والدي مارجريت كانا صارمين، إلا أنهما كانا عطوفين ، فوافقا على طلب استضافة البنت عندهما. استطاعت إديث بعد مجيئها أن تنقل لمارجريت وأختها صورة ما كان يحدث من فظاعات يرتكبها النظام النازي ضد اليهود، فكان لذلك الأثر العظيم عليهما على المستوى النفسي.

لقد كان معظم حياة مارجريت مرتبطا بالكنيسة، فقد سمح لها والدها بالالتحاق بنادي الشباب بالكنيسة فكانت تحضر جلسات الغناء المسائية وألعاب التهجئة *spelling bees* وهي ألعاب تنمي الذخيرة اللغوية لديها بالإضافة إلى كونها مسلية. وكانت تذهب مع زوجة القس لتناول الشاي. وفي أيام الأحد كان عادة ما تذهب الأسرة إما إلى أصدقاء من الكنيسة لتناول العشاء، أو تستقبل الأسرة أصدقاء بالمنزل. ومن الأنشطة الروتينية للأسرة خارج الكنيسة حضور ذلك المنتدى الأسبوعي يوم الخميس حيث يُدعى إلى المدينة متحدثليحدث عن أحداث الساعة. وكانت مارجريت ترافق والديها إلى تلك الفعالية، حيث يُعتقد أن حبّ مارجريت للتفاعل مع شؤون الساعة بدأ من هناك، فقد تعلمت الكثير من هناك.

ولأن مارجريت تربت على هذا الجو المنزلي الذي تسوده الصرامة، وكان الوقت وقت حرب، فإن من الطبيعي أن يكون شعورها بما كان يجري أقل

مما كان يجب أن يشعر به غيرها ممن كانوا يعيشون وسط أسر أقل صرامة تتيح لأبنائها التفاعل مع المجتمع بصورة أوسع. وهناك أسبوع واحد في طفولة مارجريت كان ذا أثر كبير في حياتها، فقد تمت دعوتها من بعض أصدقاء العائلة للذهاب إلى لندن لقضاء أسبوع مع تلك الأسرة. ولأول مرة وجدت مارجريت مساحة من الحرية لم تكن قد وجدت من قبل، فقد أتاحت لها تلك الزيارة رؤية برج لندن ، وأتيحت لها الفرصة لتحضر الحفل الموسيقي المسمى أغنية الصحراء The Desert Song ، وهو حفل يمكن أن يشكل فرصة للمتعة والترفيه للكثير من الفتيات في عمرها ، لكن بالنسبة لمارجريت كان ذلك الحفل أمرا جريئا وخروجيا عن المألوف deliciously daring .

إن مما لا شك فيه أن رؤية مارجريت لنفسها وهي تبدو وتتصرف بطريقة مختلفة عن رصيفاتها اللائي تعرفهن، كان أمرا صعبا بالنسبة لها، ولكنها كانت مدفوعة إلى هذه الحياة غير التقليدية متأثرة بالصرامة التي اتصف بها والداها وربياها عليها. لقد كان والدها يقول لها دائما " لا تهتمي بما يفعله الآخرون، ولا تكوني مجرد مقلدة ، وليكن لك دائما رأيك الخاص "

الجامعة وبداية الحياة السياسية

قررت مارجریت الالتحاق بجامعة أكسفورد ، واكتشفت أن اللغة اللاتينية تعتبر متطلباً أساسياً للالتحاق بالجامعة. ولأنها كانت في القسم العلمي، فهي لم تدرس اللاتينية أبداً، فقررت أن تترك هواية العزف على البيانو وتستغل ذلك الوقت لتعلم اللاتينية، وقد تمكنت من أن تجتاز دورة مدتها خمس سنوات في عام واحد وأحرزت المركز الأول في الامتحان.

لكن خيبة الأمل لاحقتها عند محاولتها الحصول على منحة دراسية إلى كلية سمرفيل Somerville College بجامعة أكسفورد ، فقد كانت هناك فرصة واحدة منحت لطالبة أخرى ظلت تنتظرها لمدة عام . لم تستطع مارجریت الحصول إلا على إعانة دراسية bursary بدلا من المنحة ، ولم تكن تلك الإعانة تغطي كل الرسوم الدراسية والسكن ووجبات الطعام . هنا قررت الأسرة أن تنقذ الموقف وتتعهد بدفع ما لم تغطه الإعانة الدراسية. ورغم ذلك ما زالت مارجریت تُحسباًن خيبة الأمل ما زالت تطاردها ففقدت الثقة بمخالفة الحظ لها ، بل قررت عدم دراسة مادة الكيمياء.

أصبح السيد روبرتس قاضياً للصلح والتسويات justice of the peace، وكانت مارجریت تذهب معه أيام الإجازات إلى قاعات المحاكم فشعرت بأن دراسة القانون أكثر أهمية وأنها قد اختارت التخصص الخطأ حين التحقت بقسم الكيمياء. ولحسن حظها، فإن القاضي المحلي الذي ينظر القضايا الجنائية المحلية recorder الذي يرأس المحكمة، قد أقنعها أن تستمر في دراسة الكيمياء وتدرّس القانون في وقت فراغها، وهذا ما فعلته مارجریت.

كانت مارجریت قد تم اختيارها بالمدرسة لرئاسة اتحاد الطالبات، ولكنها ذهبت إلى الجامعة قبل أن تباشر مهام تلك الرئاسة. التحقت مارجریت بالجامعة والحرب العالمية الثانية مستعزّ أوارها، ووجدت أن معظم الطلاب كانوا أكبر منها عمراً ، إذ إنهم ألحقوا بالتجنيد قبل التحاقهم بالجامعة، ولم يكن هناك عدد كبير من الطالبات الإناث بالجامعة كما كان الحال بالمدرسة. أحست مارجریت بالحنين إلى الوطن في الأيام الأولى بالجامعة، إذ كانت تلك أول مرة تغادر أسرتها ومدينتها لمدة قد تطول ، ولأنها كانت أنشئ تعيش وسط محيط من الذكور. وبالجامعة تهيأت لها الفرصة بالالتقاء بأعظم العقول في البلاد، فكانت عميدة كليتها هي السيدة ديم جين فوجان Dame Jane Vaughan المشهورة ببحوثها في مجال تركيبية العظام وفي أمراض الدم. وكانت هناك أستاذة الكيمياء

بروفسور دوروثي هودجكن Dorothy Hodgkin الحائزة على جائزة نوبل في مجال الكيمياء في العام 1964.

لقد كان على طلاب الكليات العلمية بذل الكثير من الجهود والعمل الشاق في الدراسة مقارنة بطلاب الكليات الأدبية، فقد كانت فترتهم الصباحية مليئة بالمحاضرات النظرية، وفترة ما بعد الظهر يقضونها بالمختبرات العلمية. وهكذا كانت مارجريت التي تميزت بالجدية والاجتهاد في دراستها. فكان وقت الفراغ القليل الذي تمنحه لنفسها تقضيه في ممارسة الرياضة والغناء ضمن فرقة باخ للموسيقى بالجامعة Oxford Bach Choir . والتحقت مارجريت برابطة المحافظين بالجامعة الذي كان دافعها للانضمام إليها هو تطوير مهارتها في الخطابة والمناظرة أكثر من رغبتها في دخول عالم السياسة.

في أربعينيات القرن العشرين، كان يسمح فقط للذكور بالانضمام إلى اتحاد أكسفورد حيث كانت تدور أعظم المناظرات. وكانت مارجريت تذهب أيضا إلى بعض حفلات الرقص حيث لا يستطيع والداها الآن منعها من الذهاب إليها. لم تنهج مارجريت نهج والديها في العمل الطوعي ومساعدة الآخرين، وكانت تذهب مرتين في الأسبوع إلى نادي الجيش بأكسفورد للحصول على السندويتشات والاستحمام.



كانت مارجريت تقضي أيام عطلتها مع الأسرة بمدينة جرانتهام وتعمل مُدرّسة بدوام جزئي في مدرسة للأولاد لتحصل على المال الذي يمكن أن يساعدها في تلبية حاجياتها الخاصة بدلا من الاعتماد الكامل على الأسرة. وفي ذلك العهد، كان العام الدراسي يستمر حتى أغسطس حيث يتيح ذلك للطلاب أن يساعدوا في جني ثمار الأزهار rose hips في الإجازة التي كانت تأتي في موسم الجني. ولم تكن مارجريت تريد أن تعتمد على أسرتها أكثر مما هو في الحاجات الضرورية إذ لم تكن الأسرة غنية، الأمر الذي جعلها تعمل في ذلك الدوام الجزئي، وكانت محظوظة إذ استطاعت أن توفر لنفسها من المبلغ ما مكنها من شراء دراجة.

ظل اهتمامها بالسياسة يزداد وبدأت في المشاركة مع الآخرين في رابطة المحافظين بأكسفورد في الحملات الدعائية لحزب المحافظين في انتخابات 1945. وبالرغم من أنها ما زالت في التاسعة عشر من عمرها، إلا أنها اشتهرت بمقدرتها على مخاطبة الجماهير.

خسر المحافظون الانتخابات وجاء إلى الوزارة حزب العمال. وبالرغم من خسارة حزبها أمام حزب العمال، إلا أنها مدينة بالعرفان لحكومة حزب العمال التي قررت رفع الراتب الشهري لعضو البرلمان إلى ألف جنيه استرليني في السنة. وقبل ذلك كان أعضاء البرلمان يحتاجون إلى ما يدر لهم دخلا إضافيا للعيش. هذا يعني أن مارجريت التي لم تكن من قبل قد فكرت في اعتبار أن السياسة يمكن أن تكون مهنة لها، لأن والديها لم يتركا لها المجال في التفكير في ذلك، بدأت الآن تعيد التفكير في أن تبني مستقبلها اعتمادا على السياسة.

تخرجت مارجريت من جامعة أكسفورد بدرجة الشرف المرتبة الثانية في الكيمياء، وشغلت أول وظيفة لها في شركة لصناعة البلاستيك في مدينة ماننجتري Manningtree بمقاطعة إسكس Essex. وكانت واحدة من فريق كان يعمل في مجال تطوير مادة لاصقة للصق ألواح من كولي كلوريد الفينيل (polyvinyl chloride (PVC) بالمعادن أو الأخشاب.

في العام 1948، مثلت مارجريت رابطة خريجي جامعة أكسفورد في مؤتمر حزب المحافظين في لاندودنو Llandudno، شمال ويلز، حيث قابلت شخصا كان له الأثر الأكبر في اتخاذ خطوتها الأولى الأكثر الأهمية في اتجاه عالم السياسة الحقيقي.

كان السيد جورج ميلر هو رئيس رابطة المحافظين في مدينة دارتفورد في كنت Kent ، وقد كان انطباع هذا الرجل عن مارجريت جيدا عندما التقى بها، فاقترح لها أن تضع اسمها مرشحة محتملة عن حزب المحافظين في دائرته الجغرافية . ترددت مارجريت في البداية ، ولم تكن قد تجاوزت الثالثة والعشرين من عمرها ، خاصة عندما علمت أنه سيكون في منافستها في الدائرة ستة وعشرون مرشحا كلهم من الرجال.

وفي تلك الأيام، كان من الصعب جدا على المرأة دخول عالم السياسة. أحست مارجريت أن فرصتها في الفوز ضئيلة، ولكنها تذكرت نصيحة والدها بأن لا تعرف المستحيل، فقررت أن تخوض التجربة. أجرت معها لجنة الحزب مقابلة شخصية فقررت بالإجماع اختيارها مرشحة عن الحزب، فأصبحت أصغر امرأة تترشح عن حزب المحافظين. وكان من الضروري أن يكون مرشح الدائرة مقيما بها، فاضطرت لترك عملها في مانجيتري ووجدت وظيفة أخرى في لندن مع شركة جي ليونز Lyons | باحثة في مجال تطوير الآيس كريم. استأجرت سكنا في دارتفورد، وأصبح يومها مليئا بالعمل والحركة ، إذ كانت تصحو عند السادسة صباحا لتصل إلى مقر عملها في لندن في الوقت المناسب. وبعد عودتها من يومها العملي الطويل، تبدأ في العمل في حملتها الانتخابية، ولا تخلد للنوم إلا عند الثانية من صباح اليوم التالي. ومن هنا تعلمت كيف يمكن أن تضبط ساعات نومها من أربع إلى خمس ساعات فقط في اليوم، وهكذا ظلت مسؤولياتها تزداد، وتزداد معها مستويات النجاح التي تحققها.

لقد كانت دائرة دارتفورد دائرة مضمونة لحزب العمال ، فبالرغم من أن مارجريت بذلت كل ما يمكن من مجهود في انتخابات 1950 / 1951، إلا أن الدائرة أعادت انتخاب مرشحها العمالي السابق. ولأنها كانت تدرك صعوبة المنافسة، فلم تكن خيبة أملها كبيرة. واقتنعت بأن الحظ لم يحالفها تلك المرة وعليها الانتظار لجولات السنوات القادمة.

وقد كان أمرا عاديا أن يتم وضع الشخص الذي يترشح لأول مرة في الدائرة التي يكون فيها الحزب المنافس أقوى بالرغم من أنهم يدركون ضآلة فرصة الفوز له ، لأن الأمر يعطيهم تجربة إضافية في كيفية إدارة الحملات الانتخابية ، ولكن يحوّل المرشح في المرة التالية إلى دائرة من الدوائر المضمونة. وقد نجحت مارجريت في تقليص أغلبية حزب العمال في دائرة دارتفورد من 20000 في العام 1945 إلى 13638 في العام 1950، وبألف آخر في العام التالي.

تميزت مارجريت بذاكرة قوية إذ كانت تتذكر الناس بأسمائهم بطريقة مذهلة مما زاد تقدير مجتمع دارتفورد لها، بالإضافة لتقديرهم لها على الجهود التي بذلتها من أجل ذلك المجتمع، فقد تم منحها دبوسالمركزايت marcasite brooch ، جائزة تقديرية لها على جهوداتها تلك، بالإضافة إلى هدايا باقات الزهور وصندوق القبعة hat box وحقبة يدوية.

واحدة من أهم اللحظات التي شعرت فيها مارجريت بالاعتزاز والفخر هي عندما جاء والدها لمساندة حملتها الانتخابية . وفي دارتفورد أيضا كان لقاءها بزوج المستقبل، السيد دينس تاتشر الذي أعلنت خطوبتها به في يوم الانتخابات عام 1951. لقد كان السيد دينس، ذلك الرجل الرياضي طويل القامة، مدير شركة الأصباغ التي تملكها عائلته، يكبرها بعشر سنوات . وقد كان عضوا ملتزما برابطة حزب المحافظين المحلية ، وكان محبا للسيارات السريعة ، الأمر الذي لم تكن تحبه مارجريت ، لكنهما كانا متفقين في حب الموسيقى الكلاسيكية.



Denis and Margaret Thatcher

دينيس ومارجريت

تزوج دينيس ومارجريت في الثالث عشر من ديسمبر، وبعد عامين، أنجبت مارجريت توأميها؛ ابنتها كارول وابنها مارك. وبعد الإنجاب، توقفت مارجريت عن النشاط السياسي لبعض الوقت لترعى ابنيها، ولكنها في ذات الوقت واصلت جهودها لتصبح محامية، إذ تمت دعوتها بعد شهرين من ولادة طفليها للالتحاق بالمحاماة، ومن ثم بدأت في ممارسة المحاماة متخصصة في الضرائب وقانون البراءة patent law. وقد ساعدها

تدربها في مجال القانون ومقدرتها على فهم المسائل الضريبية المعقدة في حياتها السياسة اللاحقة.



عندما بلغ ابناها سن السادسة وذهبا إلى مدرسة داخلية، قررت مارجريت أن تعود إلى النشاط السياسي. حاولت أن تترشح عبر عدة دوائر جغرافية ليست بعيدة عن لندن لتكون قريبة من ابنيها لكن الحزب لم يرشحها فيها. ثم جاء حظها عندما تنازل السيد جون كراودر عن الترشح لمقعده المضمون في فنشلي Finchley شمال لندن. وهنا تقدمت مارجريت ضمن مائة آخرين من الحزب، فاختارها الحزب مرشحة له عن تلك الدائرة. وقد كانت تلك الدائرة من الدوائر المضمونة، ففازت مارجريت بها وأصبحت عضوا في البرلمان، وفي سن الثالثة والثلاثين، أخذت مارجريت مقعدها عضوا بمجلس العموم بأغلبية 12825 صوتا، وقد استطاع المحافظون تحت رئاسة هارولد ماكميلان زيادة أغلبية الحزب ليحوز على أكثر من 100 مقعد في البرلمان.

في البرلمان

عادة في الجلسة الأولى للبرلمان المنتخب، تعلن الحكومة عن سياساتها وقوانينها التي تنوي تطبيقها، ولكن لكل عضو بالحزب الحق في اقتراح القانون الذي يراه مهما. ويميل البرلمانيون عادة إلى إبراز قدراتهم على عرض مشروعات القوانين لإجازتها من خلال البرلمان. ومن خلال هذا الاستعراض، يستطيع البرلماني أن يبرز قدراته في العرض والإقناع أمام البرلمان ويضع بصمته ويشتهر إذا نجح في إقناع البرلمان بإقرار مقترحه، وبالتالي نجد دائما البرلمانين في انتظار أن تتاح لهم الفرصة للإدلاء بمقترحاتهم بشأن مشروعات القوانين. ويمكن أن نرى أن العدد الأكبر من النواب ينتظرون الدور ليتحدثوا عن مشروعات القوانين أكثر من اهتمامهم بالحديث عن أية شؤون أخرى في الجلسة البرلمانية للبرلمان الجديد. ومن أجل إتاحة الفرص بعدالة، يُطلب من النواب كتابة أسمائهم على قصاصات ورق ووضعها في قبة، ومن ثم يتم اختيار الأسماء عشوائيا لتتاح لهم فرص المداخلة وتقديم المقترحات.

بعد انتخابات 1950، قامت مارجريت، باعتبارها عضوا جديدا بمجلس العموم، بوضع اسمها مع غيرها من النواب ليتم بتلك الطريقة العشوائية اختيار المتحدثين أمام البرلمان. كان الحظ حليفها إذ كان ترتيبها الثالث في الاختيار العشوائي من القبة التي كانت تحوي الأسماء. وقد كانت فرصة عظيمة لها، ولكن رغم أن الفرصة المنتظرة للحديث أمام البرلمان قد واثتها، إلا أنها أحست بالرهبة وبعض الخوف، إذ كانت تلك أول مرة تخاطب فيها مجلس العموم بصفتها عضوا جديدا. وبالرغم من كونها متحدثة جيدة، إلا أنها لم تكن لديها الخبرة حول الأسلوب المتبع في مثل هذا الوضع الجديد بالنسبة لها. لم تقدم مارجريت الخطاب الاستهلالي maiden speech الذي عادة ما يقدمه الأعضاء الجدد بالمجلس حيث يقدمون أنفسهم ويشيرون إلى الدائرة التي انتخبتم. وعلى غير هذه العادة المتبعة، قامت مارجريت بالخوض مباشرة في طرح مشروع القانون الذي تقترحه، فأشارت إلى أن بعض المجالس المحلية تمنع تغطية الصحفيين لجلساتها، وأوضحت أن الكثير من الناس لديهم شعور قوي بأن هذه المجالس ما دامت منتخبة من الجماهير، فمن حق هذه الجماهير أن تعرف ما يدور في جلساتها، وأن منع الصحفيين من حضور تلك الجلسات ربما يعني أن هناك أمورا يريد الأعضاء إخفاءها عن عامة الناس. واستطاعت بقوة نبرات صوتها ووضوح حديثها وطرح الحجج القوية التي تسند رأيها، أن تقنع الأعضاء بأنه لا بد من سن قانون يمنع هذه المجالس

المحلية من حرمان الصحفيين من حضور اجتماعاتها ، فأجاز نواب مجلس العموم مشروع القانون الذي اقترحه مارجريت وسُمِّي مشروع الهيئات العامة Public Bodies. وقد أقر من خلاله السماح لممثلي وسائل الإعلام حضور جلسات المجالس.

لقد استطاعت مارجريت أن تقدم خطابا عالي المستوى عرضت من خلاله مشروع القانون ، وتلقت على أثره العديد من التهاني على الأسلوب الممتاز الذي عرضت من خلاله مقترحها والذي استطاعت عبره إقناع أعضاء المجلس بتبني مقترحها، ولكنها لم تتلقَ التهئة من دائرتها التي أتت بها إلى المجلس، دائرة فنشلي، فقد كان مجلسها من بين المجالس التي كانت تمنع حضور الصحافة لجلساتها وتريدها أن تبقى سرية. وهكذا استطاعت مارجريت في أول مشاركة خطابية لها أمام المجلس أن يصح مقترحها لمشروع القانون قانونا تم إقراره من خلال البرلمان في 27 أكتوبر 1960.

بعيدا عن عملهم في البرلمان وحل المشاكل في دوائهم، كان يطلب من أعضاء البرلمان دائما الحديث في المناسبات الاجتماعية المختلفة. وكانت السيدة تاتشر دائما تحت الطلب لأداء هذا الدور في مثل هذه المناسبات، وكان كثيرا ما يُطلب من السيدة تاتشر المشاركة في هذه الفعاليات لتمييزها في الخطابة ولكونها امرأة، خاصة إذا علمنا أن عدد النساء البرلمانيات كان قليلا جدا، فربما تكون هناك الرغبة في إعطاء الإحساس بأن المرأة لم تُغيب أو يهمل دورها في الممارسة السياسية. وكان أول ظهور لها على شاشة التلفزيون في برنامج " بث برامج الأحزاب السياسية" Party Political Broadcast. وقد تحدثت في ذلك اللقاء عن مشروع القانون الأخير الذي قدمته فكان حدثا مرهقا للأعصاب nerve-racking occasion بالنسبة لها، لأنها المرة الأولى التي تخاطب فيها الناس عبر التلفاز .

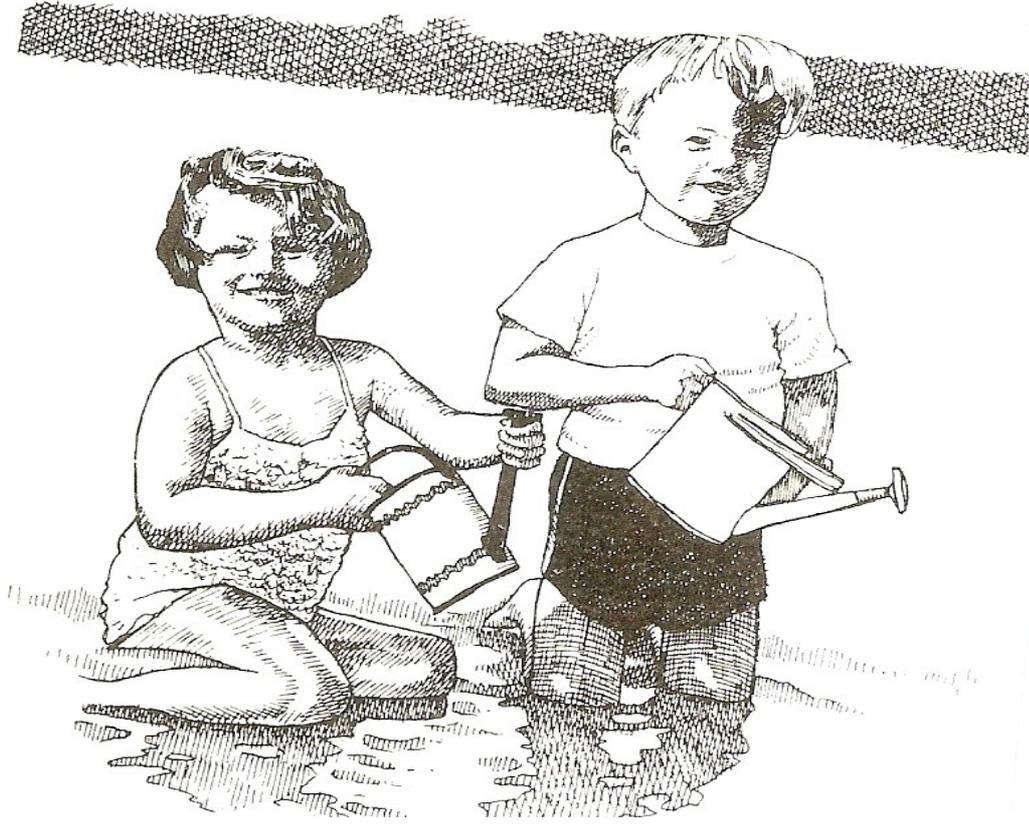
لقد قوبلت موهبتها السياسية الطبيعية ومقدرتها على العمل الشاق بالتقدير من الآخرين، فقد منحها السيد ماكميلان في أكتوبر 1961 أول وظيفة وزارية لها، إذ أصبحت السكرتير البرلماني المشترك لوزارة معاشات التقاعد والضمان القومي joint secretary to the Ministry of Pensions and National Insurance، مما يعني أنها بالإضافة إلى راتبها عن عضويتها في البرلمان، الذي هو 1750 جنيه استرليني، سوف

تتقاضى راتباً إضافياً قدره 2500 جنيه في السنة. لقد قابلت التكاليف الأخير بالبهجة والسرور وانطلقت في العمل لتتولى المسؤولية التي تشمل التأمين القومي والفوائد الإضافية. وكانت هناك أموال حكومية تخصص للفقراء أو العاطلين عن العمل أو المرضى. وهي من القضايا التي يكون تولي المسؤولية عنها أمراً شديداً الصعبة ، ولكن السيدة تاتشر بموهبتها في التفكير السليم وخبرتها السابقة في التعامل مع قوانين الضرائب المعقدة وقدرتها الطبيعية في الغوص إلى جذور المشاكل وحلها، استطاعت أن تجد الحلول الناجعة لكل تلك المشاكل التي واجهتها وهي تتولى هذه المسؤولية.

في ذلك الوقت بدأت شعبية حزب المحافظين تتناقص بسرعة، فقد باءت كل محاولات الحزب في إدخال بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة بسبب معارضة الرئيس الفرنسي شارلس دي جول لذلك. ثم حدث تورط وزير الحربية البريطاني، السيد جون بروفومو John Profumo ، في فضيحة شخصية مما زاد الطينة بلة بالنسبة لحكومة المحافظين.

شارفت سنوات حكم المحافظين الخمسة على الانتهاء. وجاءت الانتخابات تفمّني المحافظون بالخسارة وحل محلهم في الحكومة حزب العمال بقيادة هارولد ويلسون. لكن مارجريت حافظت على مقعدها بمجلس العموم عن دائرة فنشلي. وفي هذه المرحلة، تقلصت أغلبية حزبها من 8802 إلى النصف تقريباً.

بقي ابنا مارجريت، كارول ومارك، بالمدرسة الداخلية ، وكان لعائلة تاتشر منزلان ، واحد في تشيلسي بلندن والآخر بريف كنت Kent حيث كانت العائلة تملك حديقة واسعة ومسبحاً. وقد حظي التوأمان بأن تكون لهما كل مزايا النشأة في الريف إذ كانا يقضيان إجازتهما المدرسية ، وفي الصيف، كانا أحياناً يذهبان مع والديهما في رحلات بحرية في جزيرة وايت Wight ، وفي إجازة عيد الميلاد يذهبون للتمتع بالتزلج على الجليد.



إن الوجود في الحزب المعارض يمكن أن يتيح للنائب البرلماني وقتا هادئا ، لكن السيدة تاتشر بقيت دائما مشغولة، فقد كانت الناطقة الرسمية باسم حزبها، وكانت كثيرة التنقل من مركز إلى آخر تعمل من أجل زيادة شعبية حزبها انتظارا لجولة الانتخابات القادمة. لقد كان حديثها دائما في مجلس العموم محل اعتبار عال ، فقد مكنها تدريبها في مجال المحاماة و راحة عقلها وفصاحتها ووضوح صوتها في أن يكون حديثها دائما ذا أثر قوي على المستمعين. وساعدتها مقدرتها على تذكر مخزون البيانات الإحصائية في أن تكون مجاراتها في الحديث صعبة حين يحتاج الأمر إلى إيراد البيانات الإحصائية، فكانت تستطيع بطريقتها الهجومية المعهودة أن تبرز منافسيها في الحديث بسهولة وتدحض حججهم بكلمات قليلة منتقاة بعناية.

كانت مارجريت تعمل على تحضير خطبها ، بوصفها ناطقة رسمية في بداية الطريق. وحين يكون الأمر متعلقا بمسائل الخزانة العامة ، كانت تبحث بعناية وتقرأ كل مشروعات القوانين الخاصة بالميزانية والمالية منذ

العام 1946 ، فنراها مثلا تهاجم بضراوة ميزانية حكومة حزب العمال في البرلمان في العام 1960. ولقد كان واضحا أنها كان يتم تهيئتها لمركز هام عندما يأتي المحافظون إلى الوزارة لاحقا.



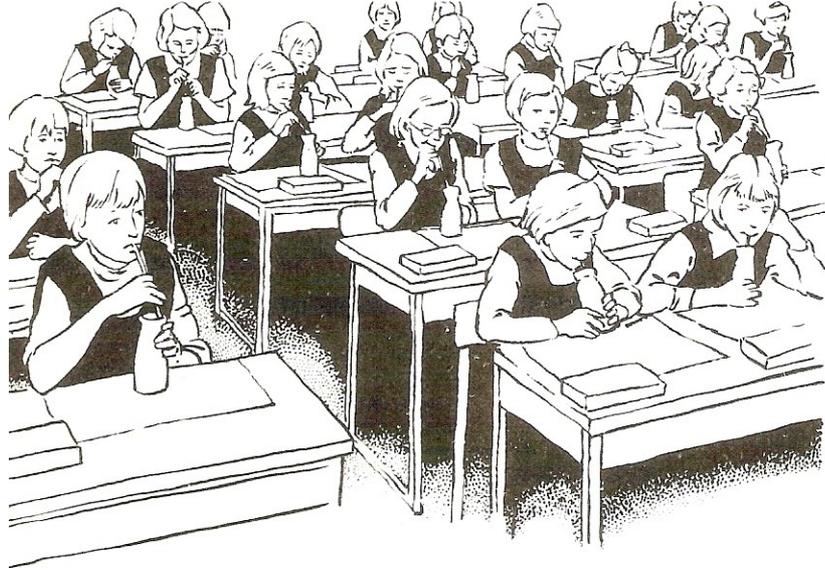
مارجريت وزيرة للتربية والعلوم

عاد المحافظون إلى الوزارة عبر الانتخابات العامة في يونيو 1970، وترأس السيد إدوارد هيث الوزارة، وحصلت مارجريت على أغلبية مريحة ، 11185 في دائرتها فنشلي. وقد قوبل نشاطها الدائب وخبرتها التي

اكتسبتها عندما كان المحافظون في المعارضة بالعرفان والمكافأة، فقد طلب منها السيد إدوارد هيث تولي حقيبة التربية والعلوم، فكانت أول وظيفة لها بمستوى الوزارة. وكان تحديا كبيرا يستدعي منها حشد كل طاقاتها وشجاعتها للاضطلاع بالمهمة الجديدة. يقال إن حقيقة الإنسان وقوة شخصيته تظهر عند الشدة، وهذا ما ثبت بشأن السيدة تاتشر، فخلال توليها وزارة التعليم، برهنت تاتشر أنها كانت تتميز بالمرونة والشجاعة والإصرار على تحقيق الأهداف المنشودة.

لقد بدأت بمباشرة عملها وزيرة للتربية والعلوم وهي تواجه تشريعا مثيرا للجدل، إذ كان الأمر يتعلق بوقف إمداد اللبن المجاني للأطفال بين سن الثامنة والحادية عشرة. وقد أثار هذا القرار ضجة واسعة لدى أفراد الشعب، وواجهت مارجريت دعاية مضادة عنيفة في الصحافة بحجة أن وقف تقديم اللبن مجانا لهؤلاء الصغار سيكون ضربة قاسية عليهم، إذ ما زال هؤلاء في حاجة ماسة إلى التغذية التي تتوفر من خلال اللبن. وبلغ الغضب ببعض السلطات المحلية أن قررت الاستمرار في تقديم هذا اللبن مجانا دون التقيد بالقرار.

كان على السيدة تاتشر بعد ذلك أن تعمل على إقناع المشرّعين بإصدار قانون يمنع المجالس من تحدي القانون القاضي بوقف صرف اللبن مجانا للأطفال، وبذلت في ذلك مجهودا كبيرا. أطلق عليها الناس لقب سارقة اللبن milk snatcher. وكأي لقب مرتبط بحادث معين، بقي هذا اللقب طويلا حتى بعد انتهاء ذلك الحادث. وقبل انتهاء تلك الغضبة الجماهيرية التي أثارها ذلك الحادث، قررت السيدة تاتشر رفع سعر وجبة الغداء لطلاب المدارس من 9 بنسات إلى 12 بنسا، فشعر العديد من الناس أن هذا الأمر إنما يعتبر هجوما على حقوق الأطفال في الحصول على الغذاء المدعوم.

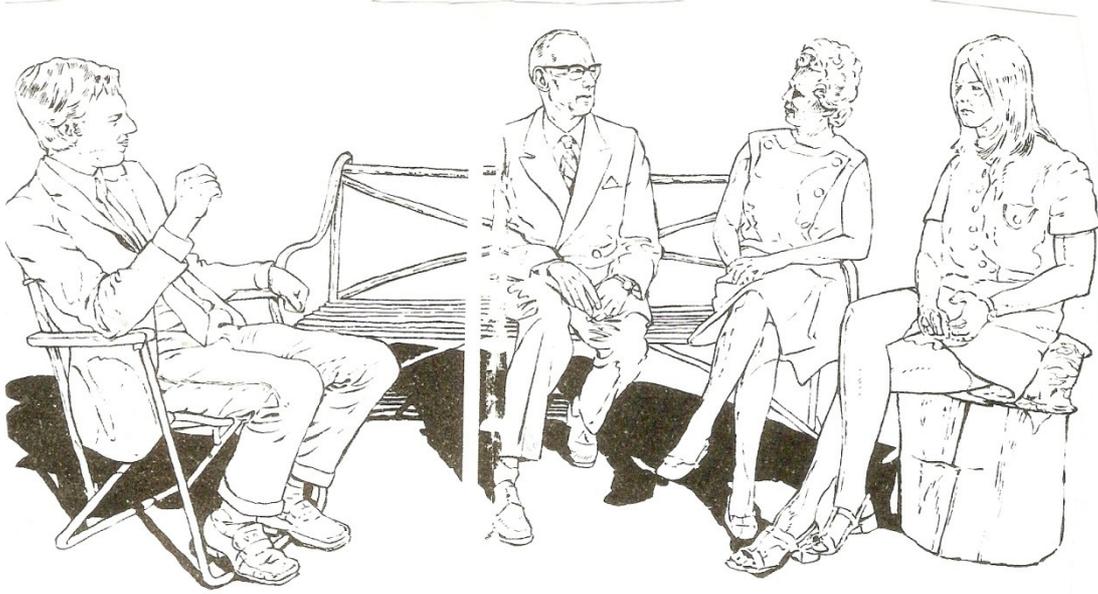


وظلت شعبيتها تتدهور في أوساط المدرسين بعد أن رفضت مقترحهم بفتح التحقيق حول سوء الأوضاع في المدارس بالمناطق الفقيرة slum schools بحجة أن التحقيق يكلف الكثير من الأموال ، والأولى أن تصرف هذه الأموال مباشرة في إصلاح هذه المدارس بدلا من صرفها في التحقيقات التي عندما تأتي نتائجها، ربما لا يمكن أن يوجد المال الكافي لتنفيذ تلك التوصيات الصادرة عنها. ولا غرابة إذن أن تطلق عليها الصحافة لقب المرأة الأقل شعبية في بريطانيا the most unpopular woman in Britain. وعندما قامت بتوزيع الجوائز بقاعة الملكة إليزابيث في لندن على المتفوقين من الطلاب ، قام أقل من 180 من المتفوقين بمصافحتها من بين الطلاب البالغ عددهم 650 طالبا متفوقا، بل تظاهر ضدها أكثر من ألفي طالب خارج القاعة، مما استدعى إحضار شرطة الخيالة mounted police لحفظ النظام.

لقد كانت فترة عصيبة للسيدة تاتشر، الأمر الذي دفعها في بعض الأحيان إلى التفكير في الابتعاد عن السياسة، ولكنها غلب عليها ما تعلمته عند الصغر من الصبر على المصاعب واعتبارها تحديات مرحلية يتعلم المرء منها الكثير، فلم تستسلم، بل على العكس قوّت تلك المتاعب من عزمها وإصرارها على المضي في الطريق الذي رسمته لنفسها. وصارت مقاتلة جسورة تتحمل الأعباء الملقاة على عاتقها رغم الضغوط الهائلة عليها من وسائل الإعلام والجماهير. وواجه ابنها ، كارول ومارك، أيضا فترة عصيبة . كان مارك يدُرس بمدرسة هارو Harrow School وتُدُرس كارول بمدرسة القديس بول للبنات St. Paul Girls' School ، وكانا كلاهما يواجهان السخرية والاستهزاء من زملائهما بسبب مواقف والدتهما.

وكان مارك يتحمل تلك الدعايات الساخرة أكثر من أخته شديدة الحساسية إزاء تلك المواقف.

بعد تلك البداية الصعبة، كان لابد من تحوّل المواقف نحو الأفضل، إذ بدأت الأمور تسير تدريجيا نحو الأحسن. رأت السيدة تاتشر أنه لابد من إقامة رياض الأطفال ففي العام 1973، أصدرت تقريرا حكوميا أشارت فيه إلى أنه خلال 10 سنوات سيكون التعليم برياض الأطفال مجانيا لجميع الأطفال في سن الثالثة أو الرابعة من العمر. ولكن لعدم توفر المال اللازم، لم يَر المشروع النور في ذلك الوقت. وحاولت تاتشر تحسين ظروف المدارس الابتدائية، فتم إنفاق مبلغ 16000000 جنيه استرليني في الفترة من 1972 إلى 1975. وفي سبتمبر 1972، رفع قانون التعليم سنّ التعليم الإلزامي school leaving age من 15 سنة إلى 16 سنة. وعادة عندما تأتي حكومة جديدة، تُلغي القوانين التي أقرتها الحكومة السابقة مما يحدث دائما إرباكا شديدا في سير الأمور.



مارجريت مع أسرتها في منزلهم في كنت Kent

وعندما أصبحت مارجريت تاتشر وزيرة للتعليم، كانت المدارس العامة comprehensive schools في بداية عهد تأسيسها، ولم يكن المحافظون من مؤيدي هذا النظام من المدارس. ومارجريت نفسها كانت تعتقد أن تلك المدارس أوسع مما هو مطلوب ولا تلبى الحاجات الشخصية للطلاب، وتعتقد أن من الأفضل وجود عدد أكبر من أنواع المدارس

المختلفة بحيث يستطيع الآباء والطلاب اختيار ما يناسبهم. ، وأن من حق الآباء أن يدفعوا لتعليم أولادهم إن هم أرادوا ذلك. ولكنها قررت أن لا تتدخل وزارتها في المدارس القائمة أصلا، إلا أنها شجعت السلطات المحلية بأن لا تندفع نحو تحويل مدارسها إلى مدارس عامة.

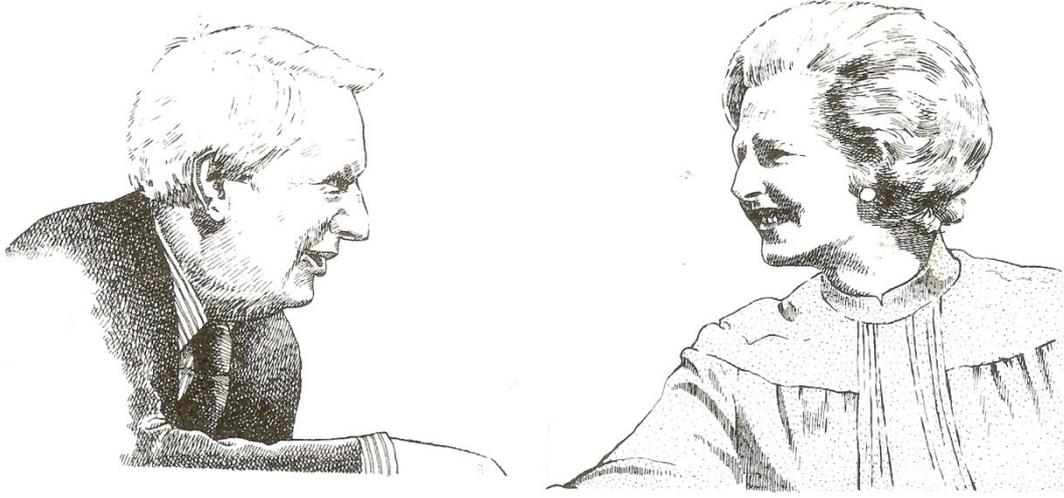
عندما يصبح عضو البرلمان وزيرا، يزداد عليه عبء العمل بصورة واسعة، فالوزراء ليسوا مسؤولين فقط عن تسيير أعمال وزاراتهم والتعامل مع التشريعات التي توضع أمام مجلس العموم، بل بالإضافة لكل ذلك، لابد للوزير عضو البرلمان أن يكون جزءاً من الفريق الذي يعمل إلى جانب رئيس الحكومة في رسم السياسات العامة وإدارة الدولة .

ظلت السيدة مارجريت تاتشر كعهدتها دائما شغوفة بحب العمل والاجتهاد بالرغم من أنها ما زالت مستمرة في تعلم اللغة الفرنسية التي تعكف على دراستها في حصص دراسية خاصة مرتين في الأسبوع، إذ كانت تري أن من الضروري على كل من يتولى منصب وزير التعليم أن يتعلم اللغة الفرنسية. لقد كانت بحق سيدة المهام الصعبة hard task-maker . وكانت تاتشر تتوقع من كل شخص حولها أن يكون بتلك الهمة العالية التي تتميز بها هي، بل كانت تنزعج كثيرا عندما ترى من حولها مترددين في أداء ما عليهم من واجبات، أو حين تراهم ينجزون ما أوكل إليهم بغير إتقان. لقد كانت مستعدة دائما لأن تقضي أقل وقت ممكن مع أسرتها خلال ساعات النهار أو المساء. ورغم كل ذلك، كانت العائلة لا تنقطع عن تناول طعام الإفطار مع بعضهم، إذ كانت السيدة تاتشر تصحو عند السادسة والنصف صباحا لتطهو بنفسها وتعد طعام الإفطار. وكانت دائما تضع قائمة لما يجب عليها القيام به من واجبات، وكلما أنجزت من القائمة بندا وضعت على القائمة إشارة تدل على الانتهاء من ذلك البند. وهكذا تستمر تنجز العمل بعد الآخر حتى تتأكد من أن كل ما بالقائمة قد تم إنجازه. وكانت كلما وجدت وقتا للفراغ، قضته إما في الطهو أو ترتيب المنزل أو مشاهدة التلفاز أو القراءة أو العزف على البيانو. وقد أصبح ما تعودته من قلة النوم في دارتفورد، الذي لم يكن يتعدى خمس ساعات في اليوم، مفيدا لها الآن وهي تتولى مهامها الوزارية والبرلمانية وتنجز ما عليها من مهامها العامة وواجباتها تجاه بيتها والعائلة، ولكنها مع كل ذلك كانت تجد بعض الوقت في نهاية الأسبوع لتخلد إلى الراحة على السرير لمدة أطول قليلا مما هو الحال في أيام العمل الرسمي بالمكتب.

الوصول إلى القمة

ظلت السيدة تاتشر تحتل منصب وزير التعليم لمد ثلاث سنوات ونصف السنة حيث حدثت بعدها مشاكل كبيرة بين نقابة العمال والحكومة التي كان يرأسها المحافظون، فقد دخل عمال المناجم في إضراب اضطرت الحكومة معه إلى تبني سياسة قطع الكهرباء عن المنازل بطريقة مبرمجة في ساعات من النهار بغية الحد من استهلاك الوقود . وأصبح معظم العاملين بالدولة يعملون ثلاثة أيام فقط في الأسبوع. أدى هذا الأمر إلى أن يدعو السيد إدوارد هيث، رئيس الوزراء، إلى انتخابات مبكرة في فبراير 1974 في محاولة منه للحصول على الدعم الشعبي للتصدي لنقابات العمال. بذل الحزب أقصى ما يمكن من مجهود للعودة إلى البرلمان بأغلبية مريحة وتشكيل الحكومة المدعومة شعبيا، لكن جرت الرياح بما لم يشتهه حزب المحافظين، إذ حاز حزب العمال المنافس على خمسة مقاعد أكثر من حزب المحافظين. وبالرغم من عدم حصول حزب العمال على الأغلبية التي تتيح له تسيير دفة الحكم بطريقة مريحة، تولى زعيمه هارولد ويلسون رئاسة الوزارة. ولكن عدم حصول حزب العمال على الأغلبية المريحة، جعل من المستحيل عليه تمرير القوانين عبر مجلس العموم مما جعل من الدعوة إلى انتخابات جديدة مرة أخرى أمرا لا مفر منه ، فجاءت الدعوة لإجراء انتخابات جديدة في أكتوبر ارتفع بعدها فارق حزب العمال من 5 مقاعد إلى 43 مقعدا عن حزب المحافظين.

احتفظت السيدة تاتشر بمقعدها البرلماني عن دائرة فنشلي بأغلبية 6000 صوت في انتخابات فبراير ، ثم تدنت تلك الأغلبية إلى 4000 في انتخابات أكتوبر. وكانت السيدة تاتشر تُدعى للتحدث باسم المعارضة في كثير من المواضيع ذات الأهمية. ومن الطبيعي أن يتطلع كل حزب سياسي إلى الوصول إلى السلطة لتطبيق سياسته في إدارة الدولة. وللوصول إلى هذا، لا بد له من عرض تلك السياسة ليقنع الجماهير العريضة لمساندته والوقوف معه. وعندما يخسر الحزب الانتخابات التي توصله إلى السلطة، يقوم بمراجعة سياسته والسياسة التي اتبعها رئيسه فقادته إلى تلك الخسارة ليرى مواطن الخلل ويسعى لعلاجها استعدادا لخوض الانتخابات القادمة. وعادة ما يتعرض رئيس الحزب لانتقادات واسعة بعد الخسارة التي يمني بها الحزب لأنه هو المسؤول الأول عن طرح سياسة الحزب للجماهير التي تصوت لانتخاب الحزب، فإذا لم يستطع أن يعطي الانطباع الجيد ويحظى بحب الجماهير، أصبحت فرصة الحزب في الفوز ضعيفة.



Edward Heath and Mrs Thatcher

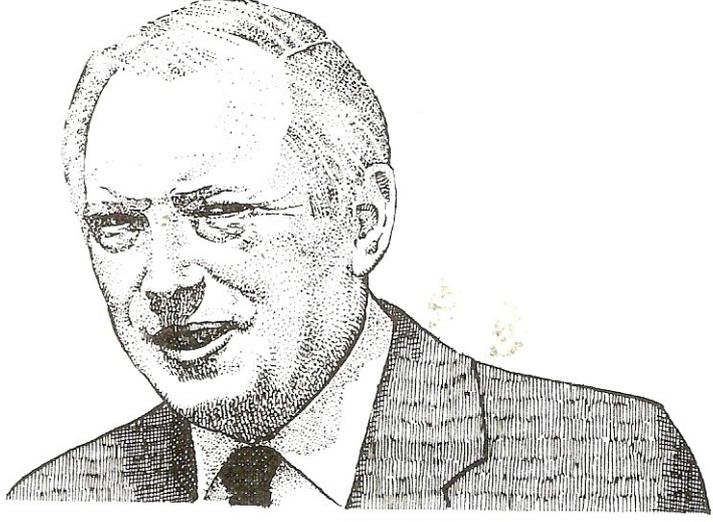
السيد إدوارد هيث والسيدة مارجريت تاتشر

لقد كانت خسارة المحافظين لانتخابات أكتوبر 1974 خسارة مؤلمة ، إذ فقد حزب المحافظين ثلاثة انتخابات من أصل أربعة انتخابات جرت منذ العام 1956 مما أدى إلى انخفاض الروح المعنوية لجماهير الحزب وشعور الكثيرين باليأس والإحباط . بدأ الشعور بعدم أهلية السيد إدوارد هيث في قيادة الحزب يزداد، فالسياسة لا تعرف العاطفة ولا الرحمة ، وكان لابد للسيد هيث أن يدفع ثمن خسارة الحزب. فإذا فقد رئيس الحزب جاذبيته his appeal، كان عليه مغادرة المنصب. ولكن إذا كان على السيد هيث أن يغادر المنصب، فمن سيحل محله في رئاسة الحزب؟ وكان هناك العديدون ممن يتطلعون لرئاسة الحزب وبالتالي لرئاسة الوزارة، فلا عجب إذن أن يبرز إلى الساحة الكثير من المنافسين على خلافة الرجل. وفي البداية، لم تضع السيدة مارجريت نفسها ضمن من يتطلعون إلى ذلك المنصب. لقد كانت تدرك أن الأغلبية ستكون ضدها في هذا التسابق المحموم نحو المنصب الكبير ، فلم يحدث أن احتلت امرأة منصب قيادة حزب في تاريخ بريطانيا العظمى. ولم يحدث أن شغلت مارجريت تاتشر أيا من الوزارات السيادية المهمة كوزارة الخارجية أو الداخلية على سبيل المثال، وكانت تعتقد أن خبرتها ليست بالدرجة الكافية، لكن زملاءها بالبرلمان ألحوا عليها بالتقدم للترشح لمنصب رئيس الحزب، ولم تكن هي ممن يضع الفرصة حين تأتي.

كبر التوأمان ، كارول ومارك، فكارول المحامية المؤهلة تحولت إلى صحفية، وأصبح مارك محاسبا تحت التدريب. وبالرغم من أن تاتشر ستدخل الصراع نحو رئاسة الحزب ضد السيد إدوارد هيث ، الرجل الذي منحها أول وظيفة سياسية ذات أهمية عالية، إلا أنها قررت أن تمضي في الشوط إلى نهايته المنطقية، فوافقت على الترشح. كان هناك اقتراعان ؛ الأول لمعرفة ما إذا كان هناك من سيحصل على أصوات أكثر مما يحصل عليها السيد هيث، فإذا كان هناك من فاقه في عدد الأصوات، وجب عليه تقديم استقالته، والاقتراع الثاني لمعرفة أي من المرشحين لشغل المنصب الذي يخلو باستقالة رئيس الحزب هو المرشح الأكثر شعبية لدى أعضاء الحزب. ويمكن أن يكون هناك اقتراع ثالث إذا لم يسفر الاقتراع الثاني عن منح أغلبية لأي من المرشحين.

أجري الاقتراع الأول في الرابع من فبراير عام 1975. وقد فاجأت النتيجة الجميع بمن فيهم أقرب مؤيدي السيدة تاتشر. لقد حصلت على مائة وثلاثين صوتا بينما حصل السيد إدوارد هيث على مائة وتسعة عشر صوتا. أدى الأمر تلقائيا لأن تذهب السيدة تاتشر إلى دورة الاقتراع الثانية. والسير نحو القيادة يمضي في شكل حملة انتخابية مصغرة، إذ يسعى مناصرو المرشح لإقناع أعضاء البرلمان بأن مرشحهم هو الأفضل وهو من يستطيع تحقيق تطلعاتهم. ولقد كانت السيدة تاتشر محظوظة إذ تولى قيادة حملتها الانتخابية السيد إيرني نيف Airey Neave ، أحد أبطال الحرب والبرلماني ذو الخبرة الجيدة، وبدأ الآن يعمل في إقناع أعضاء البرلمان من الحزب بالتصويت لمصلحة السيدة مارجريت تاتشر. كان هناك خمسة متنافسين للسيدة تاتشر هم : السيد وليام وايتلو William Whitelaw والسيد جيوفري هاو Geoffrey Howe والسيد جون بيتون John Peyton والسيد جيمس بريور James Prior . بذلت تاتشر كل ما في وسعها من مجهود لكسب الانتخابات المصغرة لرئاسة الحزب التي ستقودها حتما لرئاسة الوزارة إذا كسب المحافظون الانتخابات العامة القادمة، ولكنها لآخر لحظة كانت تظن أنها لن تحظى بالأغلبية التي تمكنها من بلوغ ذلك الهدف الذي تسعى إليه. أجريت الانتخابات يوم 11 فبراير ، وكان يوما عصيبا على السيدة تاتشر التي جلست وحيدة في المكتب الصغير بمجلس العموم في انتظار النتائج. لقد تجاوزت النتيجة أعلى ما كانت تطمح إليه، فقد فاقت تاتشر أقرب منافسيها، السيد وايتلو، بمائة وستة وأربعين صوتا ، إذ حصل هو على 79 صوتا ، وحصل السيدان جيوفري وجيمس بريور على 19 صوتا لكل منهما، بينما حصل السيد جون بيتون على 11 صوتا فقط. لقد كان ذلك نصرا مؤزرا للسيدة تاتشر التي حققت وهي في التاسعة والأربعين من العمر ما لم تحققه أية امرأة من

قبل في بلادها. وهكذا تبسم الحظ للسيدة تاتشر فأصبحت زعيمة لحزب المحافظين.



Airey Neave

السيد إيرى نيف

تم من خلال الاقتراع اختيارها لتكون زعيمة للمعارضة بمجلس العموم ، وفي احتفال رسمي، بعد بضعة أيام، بفندق مايفير Mayfair، تم إعلانها رسمياً رئيسة لحزب المحافظين. وفي ذلك الاحتفال ارتدت السيدة تاتشر ملابس باللون الفيروزي turquoise، اللون المفضل لديها، وقالت يومذاك إن المناسبة كانت "مثل الحلم" بالنسبة لها، وأكدت أنها سوف تحمل على عاتقها كل تلك الأعباء الجسام الموكلة إليها وتعمل بكل تفان وإخلاص. وأكدت أن ذلك المنصب يقتضي منها كل الشجاعة والاهتمام والحزم، الأمر الذي سوف تسعى للعمل به. لقد كان ذلك الاحتفال هو المنبر الذي بثت من خلاله حديثها الشهير طارحاً فيه رؤاها وعزيمتها على التعامل مع روسيا بالحدز. ومن هنا أخذت لقبها الذي لازمها طوال بقية حياتها؛ "المرأة الحديدية". وهو اللقب الذي أحبته لأنه كان يعني لها أنها كانت تضع احتياجات بلادها أولاً وفوق كل اعتبار آخر.

وبالنظر إلى الوراء، يمكننا أن نرى أن السيدة تاتشر قد عملت طويلاً بجد واجتهاد لتصل إلى هذا الوضع التاريخي الذي تحتله الآن . وربما ليس من

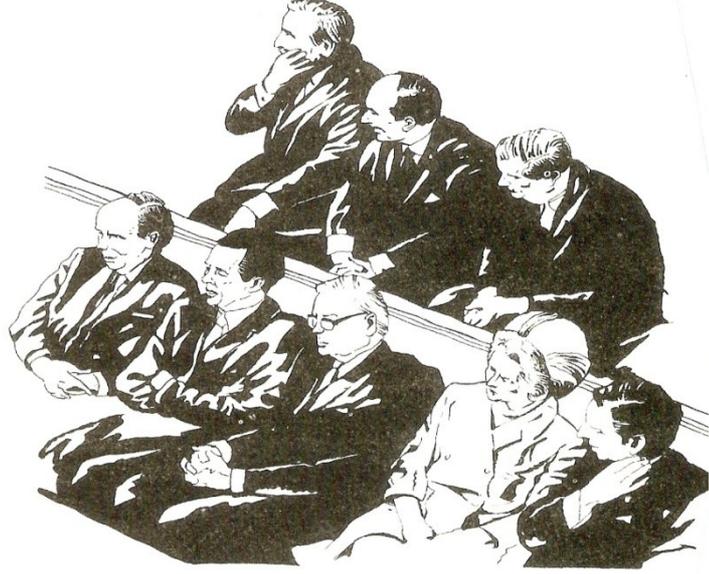
المستغرب عندما يسألها صحفي عن سر فوزها بهذا المنصب الرفيع ، أن تعود به سريعا إلى تلك الأيام عندما فازت بالمسابقة الشعرية بالمدرسة " جائزة الجدارة والاستحقاق " Merit كما كانت تسمى، لتؤكد له أن وصولها إلى هذا المنصب لم يكن مجرد ضربة حظ، بل هو نتيجة اجتهاد متواصل ظهرت بشائره منذ بواكير حياتها عندما كانت طفلة يافعة بالمدرسة.

تلقت السيدة تاتشر خلال أيام معدودة 18000 رسالة تهنئة من داخل بريطانيا ومن جهات أخرى عبر العالم. وواضح أنها الآن سوف تباشر مهامها الجديدة بجدية ونشاط أكثر من ذي قبل، وسوف يكون انضباطها الذاتي وطاقتها الهائلة في محك اختبار. إن مهمة زعيم المعارضة هي وضع سياسة الحزب ونشرها لعامة الجماهير، والطلب من الحكومة، التي يقف حزبه معارضا لها، الكشف عن خططها حتى تتمكن المعارضة من مهاجمة نقاط الضعف فيها، ولتمليك الجماهير حقيقة ما يدور وراء كواليس السياسة. ويحتاج زعيم المعارضة أيضا أن يكون قادرا على إقناع زملائه البرلمانيين وعامة الجماهير أن السياسات التي رسمها هي في المسار الصحيح بالنسبة للحزب خاصة وللدولة بصورة عامة. ولأن السياسة لا تعرف الرحمة، لابد أن يكون زعيم المعارضة قويا يتحمل النقد الذي لا مناص منه في العمل السياسي.

كانت أكبر مهمة لتاتشر هي اختيار حكومة الظل ، فريق من الزملاء ممن تأنس إلى آرائهم وأفكارهم وثثق بهم . ومهمة هذه الحكومة الظلية هي توجيه النقد إلى سياسة الحكومة القائمة والبقاء على الجاهزية لتشكيل حكومة بديلة إذا، لأي سبب، خرجت الحكومة القائمة عن المعادلة السياسية التي أتاحت لها تولي الوزارة. كانت تاتشر ترى أن تكوين حكومة الظل يشبه الوضع عند اختيار فريق لكرة القدم، إذ لابد من اختيار ذوي الخبرة والمهارة ووضع كل منهم في موقعه المناسب بالميدان. وليس الموقع المناسب وحده يكفي ، بل لابد أيضا أن يعمل الفريق بانسجام وروح جماعية مشتركة. فإذا كان بعض أعضاء الفريق يسعون إلى العمل في الاتجاه المعاكس، سيحدث احتكاك بين المجموعتين ولن يستطيع الفريق القيام بمهامه على الوجه المطلوب.

في اليوم التالي لاختيارها رئيسة للحزب، بدأت في العمل في تحديد طاقم العمل الذي سوف يكون إلى جانبها لتنفيذ خطة العمل التي يتم وضعها. طلبت من السيد إدوارد هيث الزعيم السابق للحزب الذي تلقى

الهزيمة على يديها أن يشارك معها في حكومة الظل، ولكنه رفض، ومنحت منافسها الرئيس السيد وايتلو منصب نائب رئيس حكومة الظل فقبل المنصب. وبعد أسبوع، اختارت بقية أعضاء حكومة الظل.



Mrs Thatcher in the House of Commons

السيدة تاتشر بمجلس العموم

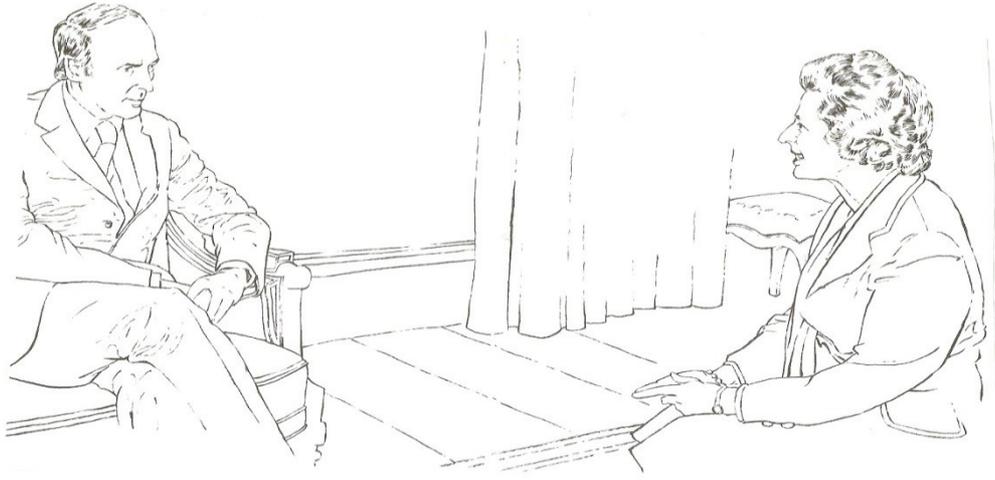
لقد كان واضحا ما كانت تبذله من مجهود في العمل، و كان يفوق دائما ما يبذله معاونوها. وعندما يناقش مجلس العموم مشروع قانون، يمكن أن تستمر تلك المناقشات طوال الليل. واشتهرت السيدة تاتشر بأنها كانت واحدة من الذين يقضون الليل كله في العمل في كثير من الأحيان ، حتى إذا كان نهاراً اليوم مزدحما بالعمل الشاق. والغريب في الأمر أنك يمكن أن تراها تغادر المكتب إلى المنزل عند السادسة والنصف صباحا وهي تقول لسكرتيرها الخاصين: " أراكم في الاجتماع عند العاشرة صباحا".



خلال السنوات الأربعة اللاحقة، استطاعت أن تفرض أسلوبها الخاص وقناعاتها الخاصة على حزب المحافظين. لقد صعدت في سلم السياسة إلى درجة عالية جدا باحتلالها رئاسة حزبها وزعامة المعارضة، ولم يبق لها غير درجة واحدة لتبلغ قمة السلم السياسي. وفي 28 مارس 1979، خسر السيد جيمس كالاهان رئيس الوزراء عن حزب العمال الأغلبية الميكانيكية بمجلس العموم. وكان ذلك يعني أن حزب العمال لن يتمكن من إدارة دفة الحكم بعد فقدانه الأغلبية التي كان يستند عليها لحكم البلاد. وكان لابد إذن من حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة. أجريت الانتخابات في الثالث من مايو عام 1979، وكانت النتيجة الفوز الكاسح لحزب المحافظين تحت قيادة السيدة مارجريت تاتشر. وقد استطاعت بذلك السيدة تاتشر تحقيق ما كان يظنه البعض قبل عشر سنوات أمرا مستحيلا، فأصبحت أول امرأة تتولى منصب رئيس الوزراء في تاريخ بريطانيا العظمى.

الحياة في القمة

قالت السيدة تاتشر إن العجيب في أمر السياسة أنه لا أحد مطلقا يستطيع أن يتنبأ بالخطوة التالية، وأنه ربما تحدث أزمة أو كارثة في مكان ما في العالم أو تحدث أعمال عنف داخل البلاد في أية لحظة، فيستدعي الأمر تغيير خطة العمل الموضوعة مسبقا، ثم العمل بسياسة خاصة تتوافق ومعطيات ذلك الطرف المستجد. وبصفتها أعلى سلطة سياسية في البلاد، كان على السيدة تاتشر أن تبقى دائما متحسبة لكل المتغيرات بدرجة أعلى ولوقت أطول مما هو الحال مع كل الذين يعملون إلى جانبها. وكان عليها أن تبقى على استعداد دائما على مدار الساعة وطوال أيام الأسبوع للاستدعاء متى دعت الضرورة وحتى في أيام الإجازات الرسمية ما دامت تتولى رئاسة الجهاز التنفيذي الأعلى الذي يقرر مصير البلاد. من المعلوم أن معظم الدول تهتم بما يجري للدول الأخرى حول العالم حتى تلك التي تبعد عنها جغرافيا أو لا ترتبط معها بروابط سياسية أو اقتصادية أو تجارية أو ثقافية قوية. وبريطانيا باعتبارها دولة عظمى لابد لها أن تستجيب لما يجري في غيرها من الدول من كوارث وأزمات مثل الزلازل والفيضانات وموجات الجفاف والمجاعات وأعمال العنف وغيرها، سواء كانت تلك الكوارث والأزمات طبيعية أم من صنع البشر، حكومات كانت أم شعوبا، بل حتى تلك الدول التي لا ترضى بريطانيا عن مجمل سياساتها. وأحيانا يمكن أن تحدث تلك الأزمات والكوارث في دول السوق الأوروبية المشتركة أو دول أخرى تربطها صداقة قوية ببريطانيا، فتعمل بريطانيا على الاستجابة الفورية السريعة وتقديم ما يلزم من مساعدات. وأيضا عندما تحدث في دول لا تتفق بريطانيا مع سياساتها، لابد لبريطانيا من التعامل ببراعة ودبلوماسية مع الموقف. وبهذا يمكن أن نرى أن مهام رئيس الوزراء لا تقتصر على إدارة الشؤون الداخلية أو الخارجية المسيسة فقط، بل أيضا تشمل التعامل مع الدول البعيدة جغرافيا وسياسا وتقديم المساعدة الممكنة لها متى دعت الضرورة.



Mrs Thatcher meets Giscard d'Estaing, the Prime Minister of France

السيدة تاتشر مع رئيس الوزراء الفرنسي فاليري جيسكارد ديستان

في بريطانيا نفسها، يمكن أن تكون هناك ظروف داخلية تستدعي التدخل السريع العاجل، مثل حوادث العنف والجرائم المنظمة. كما يمكن أن تكون هناك أيضا أمور أخرى تستدعي الاجتماع الطارئ للحكومة لمواجهة الموقف أو البت في الأمر، مثل الانخفاض المفاجئ لسعر صرف العملة الوطنية، الجنيه الاسترليني، أمام العملات الأخرى بصورة مفاجئة تستدعي التدخل العاجل لإنقاذ الموقف، وهناك قضايا العطالة التي ربما تشعر الحكومة في وقت من الأوقات أنها تفاقمت ويمكن أن تؤدي إلى السخط الشعبي الذي يؤدي إلى سقوط الحكومة، ويستدعي الأمر البحث عن حلول ناجعة للمشكلة. كل هذه مسائل قد تستدعي اجتماعات سريعة طارئة خارجة عن الجدول مما يجعل أعضاء الحكومة في شغل دائم، خاصة من يحتل منصب رئيس الوزراء.

إن من الواضح أن السيدة تاتشر لا يمكن أن تقوم بكل هذا العمل لوحدها، ولذلك يتم اختيار الوزراء والمستشارين من مختلف التخصصات ليعمل كل في مجال معرفته. وهذا يذكر مارجريت بأيام دراستها حيث كانت متفوقة في دراستها، إذ كانت تعلم أنه مهما يكن مستوى المدرسين جيدا فإن المسؤولية النهائية تكون بيد مديرة المدرسة التي يقع تحت مسؤوليتها الإشراف الكلي على المدرسة، ويقترن دائما نجاح الطالبات

بنجاح مديرة المدرسة في إدارة المدرسة أكثر مما يقترن بنجاح المدرسين الآخرين . وهناك على مستوى سياسة الدولة، توجد أمور كثيرة لا يمكن للوزراء بمفردهم البت فيها دون الرجوع إلى رأسالنظام السياسي ليعطي الكلمة الأخيرة فيها بعد التشاور مع الآخرين.

بالرغم من أنه لا يوجد يومان متطابقان في حياة رئيسة الوزراء، إلا أننا نستطيع أن نقول إن اليوم العادي للسيدة تاتشر يبدأ بين السادسة والسادسة والنصف صباحا عندما يرن جرس منبها بغرفة نومها في 10 داوننج ستريت، مقر رئيس الحكومة البريطانية. فكانت في بداية الصباح تستمع لموجز نشرة أخبار الصباح الباكر وتقرأ العناوين الرئيسية للصحف . وبعد تناول إفطارها المكون من عصير البرتقال والقهوة وأحيانا الخبز المحمص، تبدأ في تصفح بعض الرسائل والأوراق العديدة التي وردت إليها في وقت متأخر من مساء اليوم السابق. ومن المعلوم أن من يحتل منصب رئيس الوزراء يكون دائما أمامه كميات كبيرة من أوراق العمل التي لا بد أن يمرّ عليها للبت فيها أو تحويلها إلى الجهات التي يرى أنها صاحبة الصلاحية في التعامل معها.

في حوالي التاسعة صباحا، تنزل تاتشر إلى مكتبها لعقد اجتماعات متتالية، بعضها مع أناس من داخل الدولة والبعض الآخر مع وفود من دول أخرى. وقد كان ثلث وقت عملها مكرسا للشؤون الخارجية، حيث كانت تقابل الملوك و الرؤساء و رؤساء الحكومات والوزراء والسفراء من الدول الأخرى. وكانت تقابل كذلك وفود المنظمات الطوعية و اتحادات الأعمال والتجارة والنقابات. وكانت عادة تحضر غداء عمل مرتين كل أسبوع تذهب بعده لمجلس العموم حيث عليها أن تجيب عن الأسئلة الخاصة بسياسة الحكومة. وقد كانت تلك الأسئلة مرهقة لأنها كانت تدور حول كل شيء، وكان لا بد أن تكون الإجابات عليها قوية ودقيقة.

بالإضافة لذلك، كان هناك العديد من اجتماعات اللجان الوزارية، والاجتماع الدوري لمجلس الوزراء صباح كل خميس. وكان من الضروري أن تكون السيدة تاتشر موجودة بالبرلمان عند كل عملية تحتاج إلى تصويت مثل مشروعات القوانين التي إذا أجازها البرلمان لتتحول إلى قوانين. وعادة ما تكون هذه الجلسات حوالي العاشرة مساء وبعدها تذهب تاتشر إلى المنزل، ولكن ليست تلك هي نهاية يومها، فهناك ثلاث ساعات أخرى تقضيها في مطالعة أكوام ضخمة من أوراق العمل.

هناك أيام أخرى تقضيها كلها أو جزءاً منها في زيارات رسمية داخل الدولة، حيث مطلوب منها الإدلاء بحديث أو خطاب جماهيري. وتكون هناك دائماً السيارة الرئاسية المخصصة لها جاهزة لنقلها من مكان يتم فيه لقاء رسمي إلى مكان لقاء آخر. وبالإضافة إلى كل هذه المسؤوليات داخل الوطن، هناك أيضاً رحلات خارجية لعدد من دول العالم لحضور اجتماعات قمة أو مؤتمرات أو مناسبات أخرى تستدعي سفرها للخارج. وقد تميزت السيدة تاتشر بطاقتها الجبارة ونشاطها المتدفق وقدرتها الفائقة على التحمل، ولكن أحياناً يمكن أن يصبح ضغط العمل أكثر مما يتحملة الإنسان حتى لشخص في مثل طاقتها وصلبها وقوتها في التحمل. وفي بعض الأحيان عندما تعود إلى المنزل من مجلس العموم في حوالي العاشرة والنصف ليلاً، تستلقي في غفوة قليلة لحوالي عشر دقائق تصحو بعدها وقد ذهب عنها بعض الإعياء، ثم تواصل العمل إلى حوالي الثانية من صباح اليوم التالي. وبالرغم من أنها ما زالت تحتفظ بمنزليها في تشيلسي وفي الريف، إلا أنها نادراً ما كانت تجد الفرصة للذهاب إلى أي منهما. وظلت طوال أيام الرئاسة تعيش كما كانت تعيش أيام طفولتها، ففي مقر رئاسة الوزارة في 10 داوننج ستريت كانت تعيش في شقة بها أربع غرف للنوم. والمنزل مليء بالعاملين على مدى الساعات الـ 24 في اليوم. ويشبه المنزل في نشاطه خلية النحل، حيث النحل دائم النشاط والحركة. فهناك في قصر الرئاسة رجال الأمن، وهناك السكرتيرين، ومسؤولو الإعلام والسكرتير البرلماني الخاص والمستشارون السياسيون، ومدير المنزل الوزاري والطبايعون وموظفو الهاتف وعمال النظافة بالإضافة إلى العديد من الناس الذين يأتون ويذهبون بصورة دائمة. وفي الليل هناك الكاتب المناوب ورجال الأمن والطبايعون الذين يكونون جاهزين لأي عمل مستعجل يحتاج إلى طباعة.

أن يكون الإنسان رئيساً للوزراء، هذا يعني أنه لن يترك لخاصة نفسه إلا القليل من الوقت، فلن يكون هناك وقت للذهاب إلى السينما أو المسرح أو قاعات الموسيقى أو زيارات للأصدقاء. وهكذا كانت تاتشر، فالاسترخاء عندها هو الانتقال من عمل إلى آخر، مثل الانتقال من بحث ملف العلاقات الخارجية إلى ملف الشؤون الداخلية. وهيالكاد تجد وقتاً للقراءة، خاصة وهي تحبّ قراءة سير القادة السياسيين لتتعلم منها كيف كانت إدارتهم للأزمات وإيجاد الحلول الناجعة لها، لتسترشد بأفكارهم ورؤاهم التي يمكن أن تفيدها في كثير من المواقف التي تجابهها. ولكي يستريح عقلها بعد يوم ثقيل مليء بالعمل، تلجأ أحياناً لقراءة قصة من القصص البوليسية. ومن أبرز الكُتاب الذين تحب القراءة لهم، جون لو كاري John

Carré وألستير ماكليان Alistair Maclean وفريدريك فورسيث
.Fredrick Forsyth

كانت السيدة مارجريت تاتشر تحب اللون التركوازي ، بينما كان طعامها المفضل هو سمك موسى المشوي grilled dove sole . أما عن الملحنين الموسيقيين، فقد كانت تفضل الموسيقى باخ في موسيقاه الكورالية وبتهوفن في الموسيقى الأوركسترالية. وشاعرها المفضل هو روديارد كبلنج. وكانت شديدة الإعجاب بشخصيات ونستن تشرشل وأبراهام لنكولن وفلورنس نايتنجيل Florence Nightingale الإصلاحي المعروف والإحصائي statistician مؤسس التمريض الحديث founder of modern nursing. وكل هؤلاء كانوا من العظماء الذين سطوروا أسماءهم في سجل التاريخ بمداد من ذهب. وأفضل أوقات السنة عندها هو أواخر فصل الربيع حيث الأزهار والأشجار مزدانة في أبهى مناظرها.

و تفضل السيدة مارجريت تاتشر تناول وجبتين فقط في اليوم، ولكنها نادرا ما تأكل البطاطس أو الخبز أو الحلويات، كما أنها لا تتناول أي أكل بين الوجبات. كانت السيدة تاتشر تذهب معظم نهايات الأسبوع إلى المنزل الريفي المخصص لرئيس الوزراء في بريطانيا ، ليس هربا من العمل المكتبي الورقي الذي يظل يطاردها حتى هناك، ولكن لكي تستنشق الهواء النقي في الريف، ولكي تجد الفرصة لتتمشى على الأرض بقدميها بدلا من الانتقال في العاصمة بالسيارة كلما أرادت أن تتحرك. وبالطبع، فبصفتها رئيسة للوزراء، كان من المستحيل عليها أن تسير في الطريق مشيا دون أن تكون معها حراسة، كما أنه من المستحيل عليها أن تدخل إلى أي محل تجاري أو تؤدي أي عمل آخر يؤديه الناس العاديون .



Chequers, the Prime Minister's country house

المنزل الريفى المخصص لرئيس الوزراء فى بريطانيا

رغم كل هذه القيود التي فرضها المنصب على حياتها وحريتها الشخصية التي كان يمكن أن تتمتع بها كما يتمتع بها العامة من الناس، إلا أنها كانت سعيدة بما كانت تقوم به من عمل تجاه شعبها ووطنها. لقد كانت تدرك منذ طفولتها، مما تعلمته من الأسرة، أنه لا بد لها من العمل وأنه يجب أن لا تهدر أي وقت دون فائدة. ولعل تلك التربية هي السبب في شعورها، رغم ضغوط العمل والقيود المفروضة بحكم الموقع، بالراحة وهي تعيش ذلك الأسلوب من الحياة المقيّد للحرية الشخصية والمليء بالعمل والمسؤوليات، أو ليست هي القائلة " إنني أؤدي عملاً غاية في الروعة، وإنني أحب كل لحظة أقضيها فيه "؟.

الخاتمة

خلال الفترة التي تولت فيها السيدة مارجريت تاتشر رئاسة الوزارة في بريطانيا، أثبتت أنها امرأة قوية تعمل بصورة دائمة ومستمرة ، لا تكل ولا تمل، كما تميزت بالطابع الهجومى على خصومها السياسيين. وعن تعاملها مع الشؤون الخارجية، كان أهم نجاح ملحوظ حققته حكومتها هو تسوية مشكلة زمبابوي التي كانت تعرف في السابق بروديسيا، فبالرغم من أن الأغلبية الساحقة من سكان تلك الدولة هم من السود، إلا أن البيض حكام البلاد الذين أتوها مستعمرين، كان يعاملون السودَ معاملةً تمييزية سيئة وينظرون إليهم بفوقية عالية، فكان السود لا يجدون الفرص التعليمية ذاتها التي يجدها البيضُ ولا المساكنَ التي تتمتع بسكانها الأقلية البيضاء. ولم يكن للسود الحقُّ في الحرية السياسية إلا بقدر محدود جدا. وقد كان الاضطهاد الذي تواجهه الأغلبية السوداء من قبل الحكومة التي يسيطر عليها البيض محل اهتمام الحكومات البريطانية المتعاقبة منذ أن أعلنت تلك المستعمرةُ البريطانية السابقة استقلالها عن التاج البريطاني في العام 1965. وأصبحت المشكلة أكثر سوءاً في سبعينيات القرن العشرين عندما نشبت حرب العصابات بين الحكومة التي يقودها البيض وبين فصائل المتمردين السود. وبدعم ومساندة قوية من السيدة تاتشر، رئيسة الوزراء في بريطانيا، استطاع اللورد كارنجتون إقناع البيض بأنه لامفرُّ من أن يحكم السودُ البلادَ التي يشكلون الأغلبيةَ فيها وهُم سكانها الأصليون. بعد تلك المحاولات الحثيثة التي بذلتها حكومة المحافظين تحت قيادة السيدة تاتشر واقتناع الأقلية البيضاء بضرورة أن يكون للأغلبية الحقُّ في حكم البلاد في زمبابوي، أجريت انتخابات حرة تحت مراقبة رابطة الكومونولث، وفاز السيد روبرت موغابي، أحد زعماء المتمردين السود، بمنصب رئيس الوزراء. وبموجب ذلك حدث تغير سياسي كبير قاد إلى إنهاء سيطرة البيض الكاملة على تلك الدولة الإفريقية ونهاية الحرب وبداية عهد جديد في مسيرة تلك الدولة الإفريقية.

وعلى المستوى الداخلي في بريطانيا، استطاعت السيدة مارجريت تاتشر أن تدير حكومتها إدارة جيدة وتضبط سير الخدمة المدنية من خلال قبضتها الحديدية التي عرفت بها. وبمساعدة وزير الصناعة، السيد كيث جوزيف Keith Joseph ومستشار الخزانة Chancellor of the Exchequer السيد جيوفري هاو، تبنت تاتشر سياسةً ماليةً صارمةً في محاولة منها لإخراج بريطانيا من الانهيار الاقتصادي. ونتيجة لتلك السياسة

أصبح عشرة بالمائة من القوى العاملة عاطلين عن العمل في عام 1981.

فقدت السيدة تاتشر إثر ذلك شعبيتها بصورة واسعة، بل أصبح بعض وزرائها يشككون في جدوى تلك السياسة التي أصرت على تطبيقها. ولكن كما برهنت في السابق عندما كانت وزيرة للتعليم ، أن فقدان الشعبية لا يُثنيها عن المضي في الطريق الذي اختارته، فتمسكت بقناعاتها. وكانت تعتقد أنه في الانتخابات القادمة في العام 1984، سيكون الاقتصاد البريطاني قد تعافى وانتعش وازدهر. وقد استطاعت من خلال ثباتها على مبادئها تحت أقوى الظروف المناوئة أن تثبت أن لقب " المرأة الحديدية " كان بالفعل اسما على مسمى، فهي لم تتزحزح مرة واحدة عن آراء آمنت واقتنعت بها رغم ما مورس عليها من ضغوط هائلة.

